يونان النبي الهارب

للقس أغسطينوس حنا

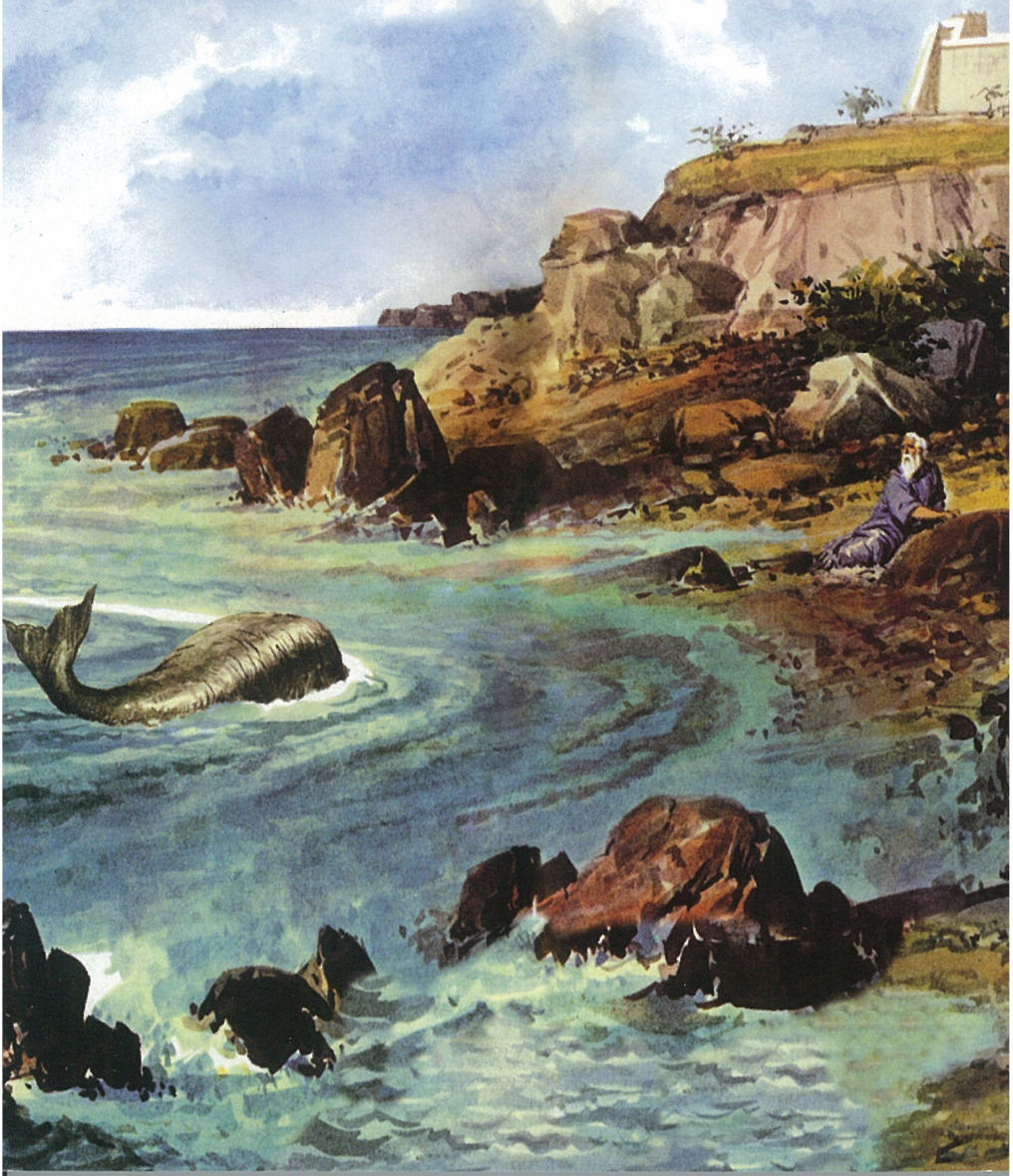

مقدمة

سفر يونان هو سفر جميل وقصير مكون من أربعة أصحاحات فقط، وهو من أسفار الأنبياء الصغار الاثني عشر، وهو حافل بالتعاليم ومتعدد الألوان والمناظر الرائعة من السماء والأرض والبحر وممالك الإنسان والحيوان والنبات.

نري فيه عصيان الإنسان وعناده وتمرده وضعفاته حتي ولو كان نبيا، كما نري طاعة الخليقة الصماء كالبحر والريح والعاصفة، وكذلك طاعة الخليقة غير العاقلة للرب مثل الحوت الضخم والدودة الصغيرة ونبات اليقطينة المظللة.

في هذا السفر أيضا نري محبة الله للخليقة كلها ومراحمه الكثيرة، لليهود والأمم، الإنسان والحيوان والنبات، فنراه يشفق علي اليقطينة،كما يشفق علي سكان نينوي وبهائم نينوي (١١:٤, ١٠)

لم يتعرض سفرآخر من أسفار الكتاب المقدس لهجمات عنيفة من خصوم المسيحية والكتاب الآلهي مثلما تعرض سفر يونان النبي. فادعوا أنه لا يوجد حوت بالضخامة التي يتسع فيها بلعومه لأبتلاع إنسان! وتساءلوا كيف أستطاع يونان أن يمكث في بطن الحوت ثلاثة أيام ويخرج حيا دون أن تهضمه عصارات معدة الحوت؟! ولكن الله أبطل حكمة الحكماء وفهم الفهماء، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء" (رو١:٢٢). ويكفي للرد علي هؤلاء وأمثالهم:

أولا – أن رب المجد يسوع المسيح "الصادق الأمين" شهد لحقيقة ابتلاع الحوت ليونان وبقاء يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال وخروجه حيا، وأن هذه كانت آية (معجزة) ورمزا لموت المسيح ودفنه وقيامته في اليوم الثالث (مت ١٢:٤٠-٤٢). وشهادة السيد المسيح هي ختم الله علي صحة وصدق الواقعة.

ثانيا – ثبت علميا وواقعيا وجود حيتان في البحر المتوسط يتسع بلعومها لإبتلاع ستة رجال معا بل وأكثر (George Williams on Bible - Commentary Brief Survey on Jonah by S. M. Wright - H. P. Harold on Minor Prophets).

يتضمن هذا الكتيب "يونان النبي الهارب"، آثنتي عشرة عظة ومقالات سبق نشر معظمها في مجلة مار يوحنا، أرجو أن تكون سبب بركة للقراء الأحباء.

القس أغسطينوس حنا
صوم نينوي ٢٠١٠

فهرس

مقدمة سفر يونان	٢
سفر يونان	٤
يد الرب تعمل من وراء الستار في حياة يونان وفي حياتنا	٩
أخبار يونان النبي في أذاعة CNN	١٣
هوذا أعظم من يونان ههنا – أوجه التشابه والتناقض	١٥
قُرعة يونان	١٨
أربعة أسئلة من سفر يونان	٢١
لماذا نصوم اليوم صوم نينوي؟	٢٦
انكسرت بهم السفينة من جهة الايمان	٣١
النوم في الكنيسة!	٣٦
هؤلاء طلبوا الموت لأنفسهم!	٤٠
صدفة أم عناية؟	٤٥
دروس أخري من سفر يونان	٤٧
ترنيمة عن يونان النبي	٥٣

سفر يونان

شخصية يونان النبي:

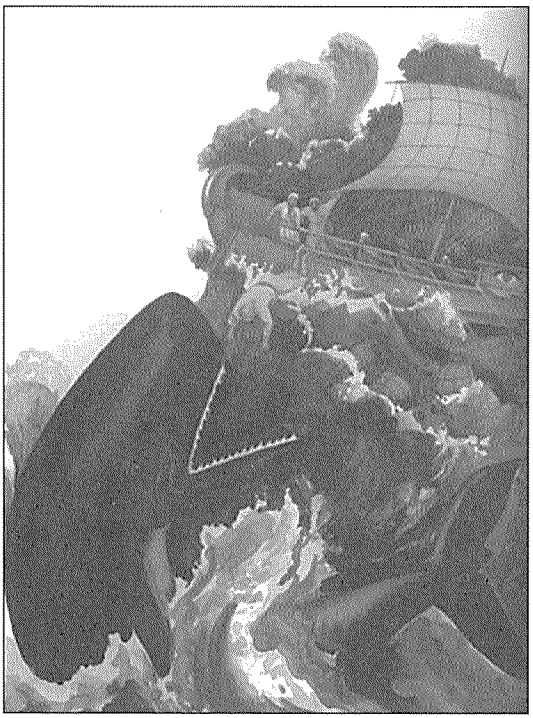

يونان اسم عبري معناه "حمامة". وكان نبيا لملكة اسرائيل الشمالية في القرن الثامن قبل الميلاد، وهو ابن أمتآي من "جت حافر" وهي مدينة صغيرة تبعد ثلاثة أميال عن الناصرة (يش ١٣:١٩). ولم يرد ذكر يونان النبي في أي موضع آخر بالعهد القديم في غير السفر الذي يحمل اسمه، الا في آية واحدة هي (٢ ملوك ٢٥:١٤). ويشير التقليد الي قبر يونان في مقاطعة الجليل قرب الناصرة. وكان يونان معاصرا للأنبياء هوشع وعاموس في أيام الملك يربعام الثاني (٧٨٦-٧٤٦ ق.م.) وقد تنبأ عن استرداد اسرائيل للأرض من حماة شمالا الي البحر الميت جنوبا حسبما ورد في (٢ مل ٢٣:١٤-٢٥). وكانت نبواته السياسية لها دور كبير في البلاط الملكي ليربعام الثاني ملك اسرائيل وشجعت علي التوسع والرخاء بالرغم من التدهور الاخلاقي، ولكن ظل يونان وسط الفساد السياسي رجلا وطنيا غيورا.

لم يكن يونان النبي مجرد رجل عنيد عصي أمر الله بلا سبب كما ظن البعض، ولكن دراسة بسيطة للخلفية التاريخية تجعلنا نفهم أسباب تصرفه الغريب هذا. لم يكن يونان يهوديا متعصبا عنصريا ضد الأمم الي الدرجة التي يهرب فيها من الله ويعصاه، لأن التقليد يقول انه كان ذلك الطفل ابن أرملة صرفة صيداء الذي أقامه ايليا من الأموات. أي انه من أصل مختلط،

أمه كانت أممية بينما كان أبوه يهوديا.

ولكن كان عناده ومقاومته للذهاب الي نينوي عاصمة أشور لتبشيرها وانذارها راجعا الي علمه من النبوات بأن الأشوريين سيكونوا الآلة التي يستخدمها الله لمعاقبة اسرائيل واذلاله وتأديبه، وكان يعرف انهم قوم قساة متوحشين. وهكذا كان النبي الذي أعلن عن توسيع ورخاء اسرائيل، هو نفسه النبي الذي أختاره الله ليرسله الي نينوي – أكبر أعداءه – ويخلصها قبل ان تستخدم في غزو اسرائيل عام ٧٢٢ ق. م. ولذلك فلا عجب اذا كان النبي تصرف علي نحو عاطفي تجاه هذه الارسالية (راجع دائرة المعارف للكتاب المقدس – مارشال جزء ٢ صفحة ١٢٠٥).

وكان يونان هو النبي الوحيد الذي تحدث عنه الرب يسوع المسيح في العهد الجديد كرمز نبوي له، في موته ودفنه ثم قيامته بعد ثلاثة أيام (متي ١٢:٤٠). وقد خربت نينوي بعد ذلك علي يد البابليين في عام ٦١٢ ق. م. أي حوالي مائة سنة بعد يونان إذ لم يثبتوا في توبتهم.

أقسام سفر يونان:

سفر يونان هو الكتاب الخامس بين الأنبياء الصغار الاثني عشر (من هوشع الي ملاخي) في العهد القديم. وهو يختلف عن الأحد عشر سفرا الآخرين في انه لا يتضمن رسائل ونبوات ولكن قصة أدبية واحدة وأختبار يونان النبي في عصيانه أمر الرب بانذار أهل نينوي.

ويتكون سفر يونان من أربعة اصحاحات قصيرة جميلة ومؤثرة تتضمن الآتي :

الأصحاح الأول: إرسالية يونان وعصيانه وتأديبه.

الأصحاح الثاني: صلاة يونان من جوف السمكة الضخمة (الحوت)، وتوبته وانقاذه من الغرق ومن الحوت .

الأصحاح الثالث: عظة يونان وانذاره لأهل نينوي، وصومهم وتوبتهم .

الأصحاح الرابع: شكوي يونان ومعاتبة الرب له وتوبيخه.

كاتب السفر ووقته:

ينسب التقليد كتابة السفر الي يونان نفسه . وهذا يجعل موعده في أيام يربعام الثاني ملك اسرائيل، خلال الفترة من سنة ٧٨٦ الي سنة ٧٤٦ قبل الميلاد، وبذلك يكون يونان هو أحد عظماء أنبياء القرن الثامن قبل الميلاد الذي خدم خلال العصر الفضي لاسرائيل . ويعتقد بعض علماء الكتاب المعاصرين انه كتب بعد حياة يونان وغالبا بعد خراب نينوي علي يد البابليين ٦١٢ ق.م. او بعد السبي البابلي ويستندون في ذلك الي الاستنتاج من الحديث في الآية ٣:٣ بصيغة الماضي ان "نينوي **كانت** مدينة عظيمة...".

قصة يونان حقيقية وليست خيالا ولا مثلا ولا أسطورة :

أعتقد بعض العلماء العصريين ان سفر يونان أسطورة لها جوانب اخلاقية تعليمية ورمزية ولكنها لم تحدث في عالم الواقع، وذلك بسبب الصعوبات التي في السفر مثل:

(١) ابتلاع حوت ليونان.

(٢) وعدم امكانية الانسان ان يعيش لمدة ثلاثة ايام في جوف حوت.

(٣) وتوبة نينوي الجماعية الفورية الشديدة.

(٤) استعمال تعبير "ملك نينوي" بدلا من "ملك أشور"...!

وللرد نقول الآتي:

١- ان الكتاب في أصله العبري لم يذكر ان الذي ابتلع يونان كان حوتا، وانما حيوانا بحريا ضخما ولذلك ترجمت بالانجليزية Great Fish وان كان ترجم للعربية "حوت" فلأن الحوت هو عادة أضخم الأسماك ويوجد أنواع منها يستطيع ابتلاع أشياء كبيرة في حجم الانسان . وقد ثبت علميا وعمليا ان الحوت الكبير يستطيع ابتلاع اكثر من انسان (بحث منشور بمجلة جامعة برنستون رقم ٢٥ لعام ١٩٢٧ صفحة ٦٣٦ - والهيكل العظمي للحوت المعروض بالمتحف الزراعي بالدقي - بمصر يثبت اتساع جوفه لخمسة اشخاص).

٢- أن بقاء يونان حيا في بطن الحوت لمدة ثلاثة أيام دون ان يختنق، هو أمر غير عادي بل معجزة بقوة الله ليكون رمزا لمعجزة قيامة المسيح من الموت بعد ثلاثة أيام. وقد وصفها الرب يسوع بأنها آية ومعجزة فعلا بقوله : "جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطي له آية الا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاثة ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام" (متي ١٢:٣٩، ٤٠). فالمشكلة اذن ليست في يونان والحوت ولكن في ايماننا نحن، فاذا آمنا ان الله قادر علي كل شيء وهو خالق الحوت ويونان لزال العجب ؛ والا أنكرنا جميع المعجزات الألهية.

٣- **أما توبة نينوي فترجع لمعجزة يونان وانتشار رواية الذين رأوه يخرج حيا من بطن الحوت، وخطورة انذار رسالته.** وهذا بالاضافة الي ما ثبت تاريخيا انه قبل عشرة سنوات من تلك الواقعة (خلال الفترة من٧٦٥-٧٠٩ ق. م.) تعرضت نينوي الي أحداث وضربات غير عادية مثل كسوف كلي للشمس ووبائين خطيرين مما أعد الأذهان لقبول رسالة يونان النبي.

٤- **لا يوجد خطأ ولا غرابة في استعمال تعبير 'ملك نينوي' بدلا من 'ملك أشور'، لأن نينوي هي عاصمة أشور،** وقد استعمل الكتاب مثلا تعبير "ملك السامرة" عن أخاب بدلا من ملك اسرائيل لأن السامرة هي عاصمة اسرائيل. وكذلك "بنهدد ملك دمشق" بدلا من ملك سوريا (١مل ٢٠، ١:٢١ - أخ ٢٣:٢٤). واذا قيل الآن سياسة واشنطن قصد أمريكا أو موسكو يقصد روسيا وهكذا.

٥- قصة يونان حقيقية وليست مثلا لأن الأمثال لا تكون طويلة وتأخذ أسفارا وأصحاحات بأكملها، كما ان الأمثال لا تتضمن شخصيات أنبياء حقيقية وأماكن وبلاد مثل يافا ونينوي وترشيش (في اسبانيا) . . الخ

٦- **أيد الرب يسوع المسيح وأكد صحة وحقيقة قصة يونان وقال ان يونان كان رمزا له ووبخ أهل جيله لأنهم لم يتوبوا كما تاب أهل نينوي** بمناداة يونان وقال "وهوذا أعظم من يونان ههنا (متي ١٢:٣٩ - ٤١، لو ١١:٢٩-٣٢) **ولا يعقل أن يشبه المسيح نفسه بقصة خرافية وإنما**

أستشهد بشخصيات حقيقية مثل يونان وسليمان وملكة سبأ، وكل هذه تمثل شخصيات وأحداثا تاريخية.

أهداف سفر يونان:

١- **الاشارة بالنبوة والرمز الي فداء المسيح وموته وقيامته بعد ثلاثة أيام.**

٢- **التعليم بأن نعمة الله ومراحمه ليست قاصرة علي اليهود فقط وانما تشمل الأمم ايضاً** وحتي أعداء اسرائيل.

٣- **الله هو الخالق والضابط الكل** الذي يسيطر علي البر والبحر والعواصف والانسان والحيوان (الحوت) والنبات (اليقطينة) والديدان والقرعة والملوك وكل شيء حسب عنايته وليس بالصدفة.

٤- ان كل الخلائق تطيع الله ما عدا الانسان للأسف المسمي "تاج الخليقة" ولكن الله يستطيع ان يحقق أهدافه رغم عناد الانسان وعصيانه.

٥- **أن الصوم والصلاة يعملان المعجزات،** ولكن من خلال التوبة "فلما رأي الله أعمالهم وأنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة رجع عن الشر (العقاب) الذي كان سيصنعه بهم (١٠:٣) فالصوم والصلاة وسائل وليست غايات ولا تقبل بدون توبة.

٦- **انه بامكان الانسان ان يغير قضاء الله حسب موقفه فان تاب وأطاع تمتع بالخير وان تمرد تعرض للعقاب والخراب** (أش ١٩:١، ٢٠؛ ار١٨:٧-١٠).

٧- **لم يسمح الله بأن يمر عصيان يونان بدون تأديب فالذي يحبه الرب يؤدبه** (عب ١٢:٦).

فالعقاب للأشرار، والتأديب للأبرار ان أخطئوا (مز ٧٣، ١ ؛ ١كو ١١:٣١، ٣٢ ؛ ابط ٤:١٧).

يد الرب تعمل من وراء الستار
في حياة يونان وفي حياتنا

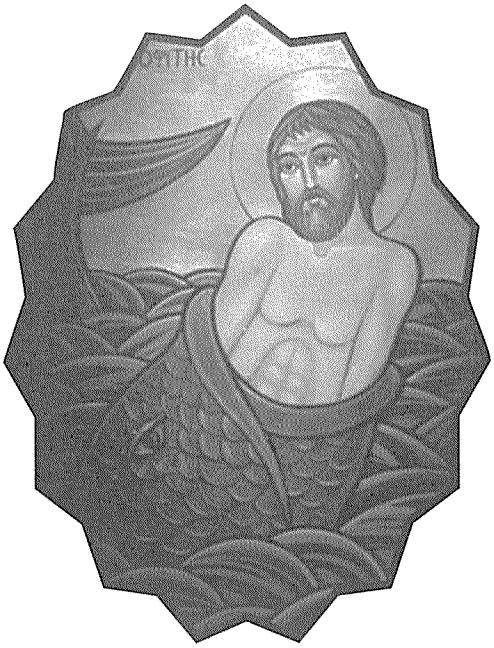

عادة في شهر فبراير نذكر ونحتفل بصوم يونان وعيده، وفي خلال قداسات هذا الصوم القصير نقرأ سفر يونان ونعايش توبة نينوي، ونتذكر قول الرب يسوع المسيح أن "أهل نينوي تابوا بمناداة يونان وهوذا أعظم من يونان ههنا". ان سفر يونان الذي اقره المسيح واعتمده واعتبر أن آية يونان النبي كانت نبوة ورمزا لموته ودفنه ثلاثة أيام وقيامته، هو سفر ممتع ومليء بالفوائد الروحية.

ويوجد علي الأقل خمسة عشر مقالاً ودراسات عن سفر يونان، بالعربية والانجليزية، في أعداد مجلة مار يوحنا خلال العشر سنوات الماضية (في شهر فبراير من كل سنة). وأقتصر في هذا المقال علي تأمل قصير عن يد الله التي كانت تعمل من وراء الستار في حياة يونان ولا تزال اليد الآلهية تعمل حتي الآن في حياتنا. هذه اليد الآلهية يدركها ويشعر بها أولاد الله دائما، بينما لا يفهمها غير المؤمنين ويفسرون الأحداث علي أنها الطبيعة أو الصدف!

يوجد سفران بالكتاب المقدس، هما أستير ويونان، يمكن أن يطلق عليهما أسفار العناية الإلهية حيث نري يد الله المحب القدير تعمل فيهما بقوة لخير شعبه واتمام مقاصده الصالحة الحكيمة الرحيمة وكيف تسيطر علي كل الخليقة. ولذلك يقول الكتاب "ها ان يد الرب لم تقصر عن أن تخلص (١ش٥٩:١).

ولو تتبعنا ما يقوله سفر يونان عن يد الرب فاننا نلاحظ الآتي:
أولا – أرسال الرب للعاصفة: **'ارسل الرب ريحاً شديدة الي البحر فحدث نوء عظيم في البحر حتي كادت السفينة تتكسر'(١:٤).**
لقد أراد الرب أن يحاصر يونان ويُذكره أنه لا يستطيع أحد أن يهرب منه في أي مكان وان البحر الذي هرب فيه هو أيضا تحت سلطانه. يبدو أن يونان لم يفهم أن هرب أو اختباء جده آدم خلف شجرة لم يخفيه عن الله. ربما لم يكن يونان يحفظ مزمور ١٣٩ الذي يقول فيه داود النبي **"أين أذهب من روحك ومن وجهه أين أهرب. إن صعدت الي السموات فأنت هناك. وان فرشت في الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر. فهناك أيضا تهديني يدك وتمسكني يمينك'.** يقول الكتاب ان الرب هو الذي أرسل العاصفة وإن يونان اعترف بذلك صراحة بقوله: "إنني عالم أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم" (١٢:١). ويقول سفر ناحوم: "الرب في الزوبعة وفي العاصف طريقه والسحاب غبار رجليه. ينتهر البحر فينشفه" (ناحوم ٣:١).

ثانياً – التحكم في القرعة: ألقي البحارة قرعا فوقعت القرعة علي يونان (٧:١):
يعتقد الجهلاء انها مجرد صدفة أو سوء حظ، أن تقع القرعة علي يونان، وأما أولاد الله فيؤمنون بالضابط الكل، "الحامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب ٣:١)، وان عصفورا لا يسقط بدون أبيهم. **ولذلك قال داود النبي 'أنت قابض قرعتي (مز ٥:١٦). ويؤكد سفر الأمثال هذه الحقيقة بقوله 'القرعة من الرب كل حكمها** (أم ٣٣:١٦). أي أن يد الرب هي التي تتحكم فيها، كما يقول أيضا عنها:

"القرعة تبطل الخصومات" (ام ١٨:١٨). وقد ألتجأ الآباء الرسل إلي القرعة لأختيار الرسول الذي يخلف يهوذا فوقعت القرعة علي متياس، فأعتمده الرسل واعتبروا حكم القرعة هو حكم الله (اع ٢٦:١). ولا تزال الكنيسة تلجأ الي القرعة الهيكلية في أختيار البطاركة حتي الآن.

ثالثاً – الرب يعدّ الحوت: أما الرب فأعد حوتا عظيما ليبتلع يونان (١٧:١)
أعدت يد الرب الخطة بكل تفاصيلها لقيادة يونان للطاعة والتوبة. وهنا

نري سلطة الرب علي الوحوش والحيوانات البحرية التي تطيعه وتخضع له. بينما الانسان تاج الخليقة الذي ميزه الله بالعقل وحرية الارادة يعصي خالقه ويعرض نفسه للأخطار والأهوال والتأديب والعقاب، فضلا عن أن يونان لم يكن انسانا عاديا بل خادما للرب ونبيا! ولو لم يتب يونان في بطن الحوت لهلك كما هلك قبله بلعام.

ولم يكن الحوت في قصد الرب لعقاب يونان بقدر ما كان وسيلة لأنقاذ يونان من الغرق ووسيلة مواصلات الي نينوي ولحمل يونان علي تنفيذ أرادة الله.

رابعاً – الله يجعل الحوت يتقيأ يونان علي البر: ´وأمر الرب الحوت فقذف يونان الي البرَ (٢:١٠):

لقد غيرت توبة يونان مصيره وقضاء الله، كما غيرت توبة أهل نينوي أيضا قضاء الله. وهكذا يمكن أن تغير توبتك مصيرك ومصير الكثيرين حولك، ولكن لا تنسي يد الله وأمره هنا هو الذي جعل الحوت يقذف يونان الي بر الأمان ولذلك يقول الكتاب: آمنوا فتأمنوا (٢اخ٢٠:٢٠) ويقولها أشعياء بصيغة أخري "ان لم تؤمنوا فلا تأمنوا (اش ٧:٩) والايمان يتطلب الطاعة "بالايمان ابراهيم لما دعي أطاع" (عب ١١:٨).

خامساً – الله يقود أهل نينوي الي توبة جماعية: يقول الكتاب ´فآمن أهل نينوي ونادوا بصوم ولبسوا مسوحا من كبيرهم الي صغيرهمَ (٣:٥).

فهل كان ذلك أيضا بالصدفة أم أن الرب فتح قلوبهم كما فتح قلب ليديا بائعة الأرجوان لتصغي الي كلام بولس الرسول (أع ١٦:١٤) نعم انه يفتح ولا أحد يغلق... أن مفاتيح القلوب في يد الرب. كما هو مكتوب "قلب الملك في يد الرب كجداول مياه حيثما شاء يميله" (ام ٢١:١). ومع ذلك فالرب لا يقتحم قلب أحد ولكنه يحترم حرية ارادة الإنسان، ويريده أن يقتنع ويفتح باب قلبه من الداخل.

ومن القصص المشهورة: أن الرسام الذي رسم الصورة المعروفة للمسيح يقرع علي الباب، دعي النقاد لإبداء رأيهم في هذه الصورة، فقال له أحدهم، أن الصورة جميلة ولكنه نسي أن يرسم "أكره" أي مقبض للباب. فأجابه الرسام "كلا لم أنسي. لأن هذا الباب ليس بابا عاديا وإنما هو يمثل

قلب الإنسان وهذا لا يفتح إلا من الداخل، أي بإرادة صاحبه!"

وهكذا أستطاع الله في محبته ورحمته وحكمته وقدرته تبكيت وأقناع أهل نينوي بالتوبة الجماعية بصورة مدهشة ونادرة. نتمني ونصلي أن تحصل في هذه الأيام الأخيرة، بأن يتوب العالم كله ويرجع الي الله ويخلص من الغضب الآتي.

حقا ما أروع هذه التوبة الجماعية التي نقول عنها في صلاة قسمة الصوم الكبير "الصوم والصلاة هما اللذان عمل بهما أهل نينوي فرحمهم الله وغفر لهم خطاياهم ورفع غضبه عنهم".

سادساً – إعداد الرب لليقطينة: 'فأعد الرب يقطينة فأرتفعت فوق يونان لتكون ظلا علي رأسهُ (٤:٦):

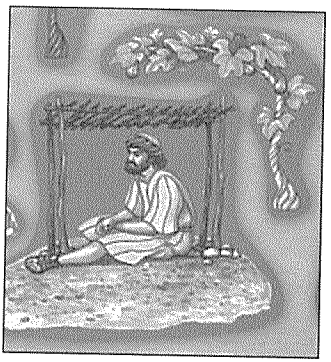

أراد الرب أن يخلص يونان من غمه! ورأينا النباتات تطيعه. وقد تكرر ذلك في لعنة شجرة التين غير المثمرة (متي ٢١:١٨-٢٠). والجميل هنا أن الرب في حنانه يداعب يونان ليخلصه من غمه، فيظلل علي رأسه من حرارة الشمس! أن الله لا يهتم فقط بأن يخلصنا من خطايانا ولكنه يهتم أيضا بأن يخلصنا من الغم والحزن والضيق والكآبة!

سابعاً- إعداد الرب دودة: 'ثم أعد الله دودة. . .' (٤:٧):

ان كل هذه الأعمال والتدابير والإعدادات، من الحوت، إلي الشجرة، إلي الدودة، هي عمل يدي الرب ليقود كل من يونان والبحارة وأهل نينوي للتوبة. حقا ان يد الرب لم تقصر عن أن تخلص وليكن عندنا العين المفتوحة.

أخبار يونان النبي في أذاعة CNN

نبي يهرب من وجه الرب في سفينة!!

وكالات الأنباء العالمية – يافا – ترشيش:

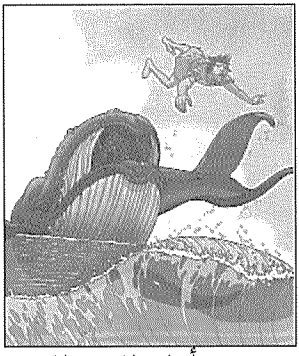

أستقبلت الأوساط العالمية خبر هروب يونان النبي من وجه الرب بدهشة وإستنكار بالغين، حيث تـوالت ردود الأفـعـال الـدولـيـة حـول عـمـلـيـة الهروب، وسط تكهنات المحللين بأن هذا الهروب قد يؤدي إلي هلاك مدينة بأكملها ما لم تتب بمناداة يونان. وكان يونان النبي قد تلقي دعوة رسمية من قبل السيد الرب بأن يقوم ويذهب إلي نينوي المدينة العظيمة، وينادي عليها للتوبة لأن شرها قد صعد أمام السيد الرب (يونان ١:٢). غير أن يونان قام ليهرب إلي ترشيش من وجه الرب، فنزل إلي يافا وأستقل سفينة من هناك متوجهة إلي ترشيش بعد أن دفع أجرتها. ولا زال الوضع يحيطه الغموض والترقب.

كارثة في عرض البحر!!

مراسلنا في ترشيش:

توافدت علي ميناء ترشيش منذ الصباح الباكر الجموع الغفيرة وأقارب الركاب القادمين علي متن السفينة القادمة من يافا، والتي كانت قد تعرضت لريح شديدة ونوء عظيم في البحر حتي كادت تنكسر. وكانت العناية الإلهية قد منحت البحارة حكمة حين حدث النوء، حيث صرخ كل واحد إلي إلهه، ثم ألقوا القرعة التي أسفرت عن أسم "يونان" وبمواجهته أعترف الرجل بأنه عبراني وخائف من الرب إله السماء الذي صنع البحر والبر (يونان ١:٩). ولما كان البحر يزداد إضطرابا ولم يعرف الرجال كيف أو ماذا يكون التصرف، أقترح عليهم "يونان" أن يلقوه في البحر فيسكن عنهم. وبعد محاولات يائسة للعودة إلي الشاطئ، صرخوا إلي الرب حتي لا يكون دمه عليهم، ثم ألقوه في البحر وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذورا.

الكائنات البحرية تساهم في حل مشكلة المواصلات!!

من مراسلة الأخبار الكتابية:

قدمت الكائنات البحرية عرضا مغريا للإنسان مساهمة منها في حل مشكلة المواصلات، حيث اشتمل العرض علي أن تعمل الحيتان كغواصات تحمل المسافرين عبر الموانئ المختلفة. وكانت الفكرة قد بدأت حين صار الأمر من الرب إلي الحوت بأن يبتلع النبي الهارب يونان حينما ألقي به في البحر، حيث حمله الحوت بمهارة وسرعة فائقة من قرب ميناء يافا حتي شواطئ نينوي علي جناح السرعة.

إذا عُرف السبب. . . بُطل العجب

قال محللون متخصصون:

أن كثيرين يتطلعون إلي يونان كمجرد نبي هارب من وجه الرب، الأمر الذي لا يستطيع أحد أن يتجاهله، لكنهم يتجاهلون موقفه لكونه النبي الوحيد الذي أرسله الرب قديما للكرازة في بلد أممي – نينوي عاصمة أشور – وإذ أدرك بروح النبوة أن خلاص الأمم يتحقق خلال رفض اسرائيل للإيمان، لم يحتمل يونان هذه الأرسالية، وهرب ليس كراهية في الأمم، وإنما حبا وخوفا علي اسرائيل.

النبي الهارب يقدم مبررات هروبه في دفاعه الأول عن نفسه:

مراسلنا في نينوي:

في جلسة الدفاع الأولي التي أنعقدت أمس للنبي الهارب يونان، بعد أن آمن أهل نينوي وتابوا بمناداته، برر النبي هروبه من وجه السيد الرب بأنه كان يعلم أنه (أي الرب) إله رؤوف ورحيم، بطئ الغضب وكثير الرحمة ونادم علي الشر. من أجل هذه الأسباب بادر النبي – حسب قوله – بالهروب إلي ترشيش وهو بعد في أرضه. وكان النبي وقد غمه عفو الله عن نينوي بعد توبتهم، أن أغتاظ وصلي إلي الرب مقدما التبريرات السابقة. غير أن السيد الرب بادره بالسؤال: هل أغتظت بالصواب؟؟؟

كان يونان رمزا للسيد المسيح وقد قال في ذلك رب المجد يسوع المسيح "لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض" (متي ١٢:٤٠).

وقال أيضا "كما كان يونان آية لأهل نينوي، هكذا يكون ابن الإنسان لهذا الجيل" (لو ١١:٣٠). واليكم هذا الجدول بالمقارنات لبيان أوجه التشابه والتناقض والتي نخلص منها إلي قول السيد "وهوذا أعظم من يونان ههنا" (متي ١٢:٤١).

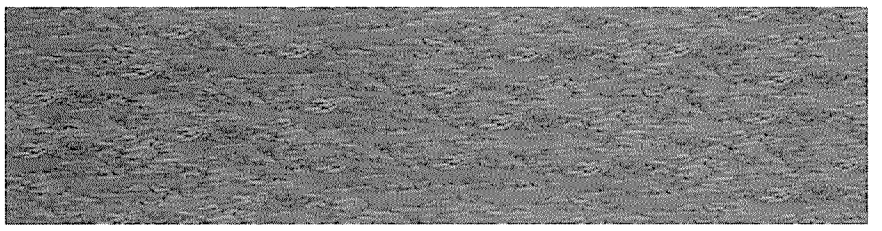

يونان	المسيح
١. تلقي يونان رسالة من الرب للذهاب إلي نينوي والكرازة لها بالتوبة.	١. وتلقي يسوع نفس الرسالة بالذهاب إلي العالم للكرازة له بالخلاص، وكان أول نداء له "توبوا".
٢. يونان رفض أرسالية الرب وحاول الهرب إلي ترشيش.	٢. المسيح قبل ارساليته بسرور وقال "طعامي أن أعمل أرادة الذي أرسلني" (يو ٤:٣٤).
٣. يونان عصي أمر الرب وعاند وهرب في البحر، ولكنه سرعان ما أدرك أن البحر والبر تحت سلطان الله.	٣. يسوع أطاع للنهاية حتي الموت علي الصليب.
٤. يونان رفض خدمة نينوي باعتبارها مدينة وثنية شريرة وقاسية، وأن الرب كان مزمعا أن يستخدمها عصا تأديب لإسرائيل. وهو يهودي متعصب مع أنه كان من أصل مشترك لأنه ابن أرملة صرفة الذي أقامه ايليا من الموت في طفولته.	٤. يسوع جاء من أصل يهودي، ولكنه أحب وضحي بحياته وسفك دمه لأجل خلاص العالم. فجاء لليهود والأمم والمسلمين والبوذيين معا وعمل علي خلاص الجميع من الخطية والموت والجحيم ومنحهم الحياة الأبدية ان آمنوا به.
٥. يونان نام في سفينة نوما عميقا هو نوم الضمير للهارب من الخدمة والمسئولية.	٥. والمسيح نام في سفينة، ولكنه نوم المتعب المرهق من كثرة الخدمة ليلا ونهارا.
٦. يونان تعرض لعاصفة عاتية كادت تحطم السفينة وتغرقه وكاد أن يهلك بسبب عصيانة.	٦. والمسيح تعرض لعاصفة شديدة في البحر ولكنه أستطاع أن يهدئ العاصفة بكلمته وذلك لقداسته.
٧. ان رسالة يونان لم تكن ستكلفه شيئا، ومع ذلك فضل الموت عليها.	٧. أما رسالة المسيح فقد كلفته الآلام والتعذيب والجلد والصلب وسفك دمه لخلاص الكل بسرور.

يونان	المسيح
٨. يونان أبتلعه حوت كبير ومكث في جوفه ثلاثة أيام ثم خرج حيا بمعجزة.	٨. ويسوع مات ودفن في القبر ثلاثة أيام وقام منتصرا لتبريرنا، وكان يونان رمزا للمسيح في هذه الآية.
٩. أن المعني الحرفي لإسم يونان هو حمامة، وكان إلقاء الحمامة في البحر رمزا للمعمودية.	٩. وفي معمودية المسيح حل الروح القدس عليه في هيئة حمامة.
١٠. كانت رسالة يونان لأهل نينوي رسالة غضب وتهديد مخيف بالدينونة والهلاك "بعد أربعين يوما تنقلب نينوي".	١٠. أما رسالة المسيح فهي رسالة خلاص وفرح وسلام وغفران وحياة أبدية.
١١. بالرغم من أن رسالة يونان كانت مشئومة وخالية من المعجزات، فإن أهل نينوي قبلوها فورا بالتوبة في المسوح والرماد.	١١. وكانت رسالة المسيح المفرحة وبشراه السارة مصحوبة بأعظم المعجزات، ولكن خاصته لم تقبله، ولذلك سيقوم أهل نينوي في يوم الدين مع جيل المسيح ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان، وكان أعظم من يونان عندهم، الذي هو المسيح.
١٢. عندما تاب كل أهل نينوي بالإجماع ١٠٠٪، يا للعجب غضب يونان وكان يحتاج أن يتعلم أول درس في الخدمة وهو المحبة.	١٢. الرب يسوع وملائكته يفرحون فرحا عظيما بخلاص خاطئ واحد يتوب.
١٣. يونان الذي حزن وغضب لخلاص نينوي، فرح جدا بشجرة اليقطينة التي ظللته.	١٣. يسوع المسيح هو مخلص العالم الكامل الذي يفرح بخلاصنا أكثر من أي شئ آخر في الوجود.

قُرعة يونان

سفر يونان هو سفر جميل صغير وغني بالتعاليم النافعة، و منها القُرعة التي وقعت علي يونان.

تساؤلات: هل القرعة هي صدفة أم هي من الله؟ . . . وماذا يقول الكتاب المقدس عنها؟ . . . وهل لها شروط؟ . . . وهل مازلنا نستطيع الإحتكام إليها حتي الآن؟. . .

المناسبات التي أستعملت فيها القرعة:

١- القرعة في تقسيم أرض الموعد:
أن أول مرة نلتقي بالقرعة في الكتاب المقدس، كانت في سفر العدد، عندما أمر الرب موسي بتقسيم أرض كنعان بالقرعة قائلا: وتقسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم" (عدد ٣٣:٥٤ ؛ يش ١٣:٦ ؛ أعمال ١٣:١٩).

٢- خدمة بني هارون التي كانت بالقرعة:
يخبرنا سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح ٢٤، أن داود النبي قسم الكهنة من بني هارون الي ٢٤ فرقة تتناوب خدمتها بالقرعة (١أخ٢٤:٥ - ١٣)، وهكذا أيضا بنو اللاويين.

٣- هامان ألقي القرعة لإبادة اليهود:
يخبرنا سفر أستير أن هامان الأجاجي عدو اليهود تفكر علي اليهود ليبيدهم، وألقي قرعة لإفنائهم وإبادتهم (استير ٩:٢٤). ومعني هذا أن الوثنيين أيضا كانوا يلجئون إلي القرعة، وأنها يمكن أن تستخدم في الشر!

٤- داود النبي يقول للرب:
"أنت قابض قرعتي" (مزمور١٦:٥)، أي أن نصيب وحظ ومصير المؤمنين في يد الرب الضابط الكل.

٥- أحكام القرعة في سفر الأمثال:
ذكر سفر الأمثال الأصحاح الأول، أن الخطاة إذا عرضوا عليك مشاركتهم في الشر "تلقي قرعتك معنا" فأرفض لأنه باطلا تنصب الشبكة في عيني كل

ذي جناح" (أم١:١٧).

ويقول الحكيم سليمان "القرعة تبطل الخصومات وتفصل بين الأقوياء" (أمثال١٨:١٨).

٦- في سفر أرميا:
"القرعة هي النصيب" (ار١٣:٢٥).

٧- وفي سفر يونان:
ألقي النوتية قرعة ليعرفوا بسبب من هذه المصيبة عليهم فوقعت القرعة علي يونان. "هلم نلقي قرعا لنعرف بسبب من هذه البلية" (يو١:٧).

٨- وفي الأناجيل نقرأ:
أن عساكر الرومان بعد صلب المسيح، ألقوا قرعة علي ثيابه وقميصه (مت٢٧:٣٥ ؛ يو ١٩:٢٤).

٩- وأن زكريا الكاهن أصابته القرعة ليدخل إلي الهيكل ويبخر (لو١:٩).

١٠- إلقاء القرعة لأنتخاب رسول مكان يهوذا:
في سفر أعمال الرسل الأصحاح الأول، ألقي الرسل قرعة لأختيار متياس فحسب مع الأحد عشر رسولا (اع١:٢٥).

هذا هو تقريبا تاريخ القرعة في الكتاب المقدس. والسؤال الآن هو:

هل القرعة تمثل رأي الله وحكمه دائما؟
لا أعتقد ذلك... إذ من غير المعقول القول بأن قرعة هامان لإبادة شعب الله، ولا قرعة الجنود الرومان علي ثياب المسيح كانت من الله. ومع ذلك نستطيع القول بأن وقوع القرعة علي يونان كانت من الله. وأن تقسيم أرض كنعان بالقرعة كان بأمر الله، وكذلك كان أختيار متياس الرسول بالقرعة من الله. كما يقول سفر الأمثال أن حكم القرعة من الله (أم ١٦:٣٣) ، وأن القرعة تبطل الخصومات (أم١٨:١٨). وعند تأييد البابا شنودة للقرعة الهيكلة في أجتماع الاربعاء جاءت حمامة من الهيكل ووقفت علي مكتبة وكأن الروح القدس يؤيده.

وثمة سؤال آخر: **هل للقرعة شروط؟**

الإجابة تتلخص في هذه النقاط:

(١) أن آخر مرة قرأنا فيها عن القرعة في الكتاب المقدس، كان في الأصحاح الأول من سفر أعمال الرسل عند أختيار متياس الرسول، وكان ذلك قبل حلول الروح القدس في يوم الخمسين الذي جاء في الأصحاح الثاني. وأما بعد حلول الروح القدس فلم نسمع عن القرعة مرة أخري، لأن الروح القدس يعطي أرشادا كافيا، اللهم إلاَّ لفض الخصومات.

(٢) **يجب أن تكون القرعة بين أمرين كلاهما خيرا**، فلا يجوز أن نلقي قرعة بين أمرين أحدهما خيرا والآخر شرا.

(٣) لجأت الكنيسة في بعض أدوار التاريخ إلي القرعة الهيكلية في أختيار البطاركة، وكان آخر ذلك في أيامنا عند أختيار البابا كيرلس السادس والبابا شنودة، وثبت أن حكمها كان خيرا وكان من الله.

وأما لماذا لجأت الكنيسة هنا إلي القرعة بعد الروح القدس، فيمكن الإجابة عليه بأن المفاضلة كانت بين أشخاص صالحين يصعب الترجيح بينهم، وأيضا كما يقول سفر (الأمثال ١٨:١٨)، "لتبطل الخصومات وتفصل بين الأقوياء، والخصومات هنا ليست بين المرشحين ولكن بين أنصارهم.

(٤) وأما المبالغة في الجري وراء القرعة لمعرفة أختيار شريك الحياة، أو كلية معينة أو وظيفة أو عربية، ففي أعتقادي أن هذا تطرف ولا لزوم له، ويغني عنه الصلاة وطلب أرشاد الروح القدس والتفكير وتشغيل العقل وأستشارة الخبراء والمرشدين الروحيين.

أربعة أسئلة من سفر يونان

أريد بنعمة الله أن أحدثكم عن أهم الأسئلة التي وردت في سفر يونان . . .

السؤال الأول – مالك نائما؟

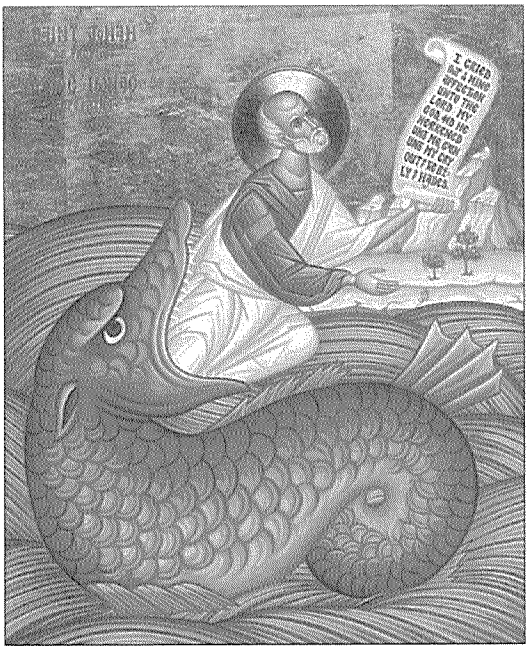

هذا السؤال وجهه رئيس النوتية إلي يونان النبي الهارب وهو متعجب جدا كيف يستطيع هذا الإنسان أن ينام وسط عاصفة رهيبة كهذه، وكيف ينام وحياته والذين معه مهددة بالغرق؟ ومن أين أتاه كل هذا النوم العميق والسفينة تتأرجح كالقشة في مهب الريح العاتية وتكاد تنقلب رأسا علي عقب؟! كيف ينام وسط صيحات الفزع وصلوات النوتية وصراخ المسافرين حوله وإلقاء أمتعة السفينة في البحر؟

أنه ولا شك نوم غريب ونوم مريب غير طبيعي وكأن يونان أخذ "حقنة بنج" خدرته تماما حتي أن الكتاب يصفه بأنه "نام نوما ثقيلا" (١:٥)!

أنه نوم الضمير وعصيان أوامر الرب . . نوم نتج عن العناد وعدم الشعور بالمسئولية . . نوم بطلب الراحة بينما مئات ألوف البشر في نينوي مهددون بالهلاك إذا لم ينفذ هو مشيئة الرب في هذه الإرسالية.

أن الأمر المخجل أن يأتي التوبيخ لخدام الله من الوثنيين وغير المؤمنين ويقولون لهم "قوموا اصرخوا لألهكم حتي لا نهلك؟ (١:٦) لقد شبه الرب خادمه بالرقيب الذي إذا رأي الخطر قادما ونفخ في البوق وحذر الشعب

فإنه يخلص نفسه، ولكن أن أهمل أو نام وهلك الشعب فإن الله يطلب دم هذا الشعب من الرقيب "ومخيف هو الوقوع في يدي الله الحي" (حزقيال ٣:١٧ – ٢١ ؛ ٣٣:٧ ، ٨ ؛ عب ١٠:٣١). هذه هي الآية المرعبة التي تقولها الكنيسة للآباء البطاركة والأساقفة عند سيامتهم. واذا كان مطلوبا من المؤمن العادي اليقظة والسهر والصلاة علي الدوام، فإنه من باب أولي ذلك مطلوب من خدام الله وكل من هو في منصب روحي أو كنسي بصورة مضاعفة "مالك نائما؟" هو سؤال لا يقصد به استنكار النوم الجسدي فقط بل بالأكثر النوم الروحي الذي يهدد حياة يونان النبي والذين معه في السفينة والذين أرسله الله إليهم في مدينة نينوي. أن الخادم الذي لا يحس ولا يشعر بحاجة أو حالة الذين يخدمهم أو الذين اعثروا منه مما يجعلهم يرتدون عن الله ويبتعدون عن الكنيسة بسببه، هو إنسان نائم نوما ثقيلا يحتاج الي عاصفة شديدة وسؤال كهذا "مالك نائما؟" بل وإلي حوت يبتلعه. حقا أن الإنسان كثيرا ما يثق بحكمته وثوقا يصطدم فيه بمشيئة الله، ولذلك نصحنا الكتاب بقوله "وعلي فهمك لا تعتمد" (أم ٣:٥).

السؤال الثاني – بسبب من هذه المصيبة علينا؟

هذا السؤال قلما ننتبه إليه وقد سأله النوتية (البحارة) ليونان النبي (١:٨). أن كل حياتهم وعملهم في البحر ولابد أنهم تعرضوا لزوابع وعواصف كثيرة من قبل، ولكنهم لم يروا طوال حياتهم عاصفة شديدة ونوء مخيف كهذا. أنه شئ جديد عليهم يشبه "التسونامي" الرهيب الذي تعرضت له أندونيسيا في ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤ بزلزال قوته ٩ درجات تحت المحيط الهندي مما سبب أمواجا عاتية كالجبال أغرقت مدنا وأهلكت الألوف من البشر. لقد صرخ النوتية من الفزع وطرحوا أمتعة السفينة في البحر ليخففوا عنهم وكادت السفينة الضخمة أن تنكسر، فصرخوا كل واحد إلي آلهة وعملوا كل ما في أيديهم دون جدوي. فأدركوا بذكائهم أنه يوجد سر في ذلك الإنسان الغريب النائم فأيقظوه ليصلي أولا ثم فكروا في إلقاء قرعة لتحديد المسئول عن الكارثة "لنعرف بسبب من هذه البلية" وكان ظنهم في محله عندما وقعت القرعة علي يونان (١:٧). فأمطروه بالأسئلة "أخبرنا بسبب من هذه المصيبة علينا؟ ما هو عملك؟ ومن أين أتيت؟ ما هي أرضك ومن أي شعب أنت؟ وماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا؟" أن السؤال "بسبب

من هذه المصيبة علينا"، يفيد أن كل مصيبة لابد أن يكون لها سبب، كما يفيد أيضا أنه بسبب خطأ إنسان يمكن أن تحل المصائب علي الذين معه.

أن الخطية هي السبب الأصلي لمصائب الإنسانية إذ جلبت معها اللعنة والعقوبة والتعب والألم والخوف والشوك والحسك والمرض والموت (تك ٣:١٧-١٩). وبسبب خطية واحد اجتاز الموت إلي جميع الناس إذ أخطأ الجميع (رو٥:١٢). ولكن شكرا لله أنه ببر الواحد يسوع المسيح جعل الكثيرون أبرارا أيضا (رو٥). أن خطية الزاني قد تصيبه وشريكه أو نسله بمرض الأيدز المستعصي، وخطية السكير والمقامر والمدمن تجلب مصائب اللعنة والمرض والأفلاس علي نفسه وعلي أسرته أيضا. أن خطية سائقي القطار أو الأتوبيس السكير أو الذي يتعاطي المخدرات قد تجلب الدمار علي كل الركاب معه. ولذلك يقول الكتاب: "أما خاطئ واحد فيفسد خيرا جزيلا" (جامعة ٩:١٨).

وقد تأخذ الخطية صورا روحية مثل خطايا الفريسيين بحجة المحافظة علي الدين أو تقاليد الشيوخ أو التدقيق "فيصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل". أن خطية قيافا وحنان ضللت اليهود فرفضوا السيد المسيح ووصلبوه. وأكذوبة واحدة مثل ادعائهم بأن تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ضيعت ملايين اليهود حتي اليوم (مت ٢٨). أن هرطقة شخص واحد مثل أريوس الذي أنكر لاهوت المسيح جلبت مصائب لا حصر لها علي مئات الألوف وعلي الكنيسة كلها.

أن خطية العميان قادة العميان تجلب مصائب أخطر كما رأينا. وقد تأخذ الخطية صورة الكراهية أو الحقد أو التحيز والمحاباة أو التسلط وسوء استعمال السلطة والكبرياء والعناد والانتقام.. ألخ. كل هذه الخطايا لا تقل عن خطية عصيان وعناد النبي الهارب يونان وتأتي بمصيبة بل بمصائب لصاحبها وللكثيرين ويمكن أن تصل إلي شعوب وأجيال.

وعلي العكس مما سبق فأن وجود عشرة أبرار في سادوم كان كفيلا بانقاذ المدينة كلها، بل أن وجود فرد واحد بار مثل القديس بولس الرسول في سفينة تعرضت لعاصفة مثل سفينة يونان، كان كفيلا بانقاذ كل ركاب السفينة (أعمال ٢٧).

السؤال الثالث – "هل أغتظت بالصواب؟"

هذا السؤال الثالث وجهه الرب إلي يونان عندما أراد أن "يخلصه من غمه". لقد رأي الله أن شعب نينوي تاب علي أثر نداء يونان برسالة الانذار "بعد أربعين يوما تنقلب نينوي"، وبناء علي ذلك عدل الرب عن العقوبة التي كان ينوي توقيعها عليه. وبدلا من أن يفرح يونان بنجاح رسالته ١٠٠٪ وخلاص جميع الشعب من الهلاك، إذا به يغتم ويغتاظ لذلك لأن هذه النتيجة كانت ضد رأيه ورغبته! وأمعن يونان في التعبير عن غضبه وغيظه بكل صراحة بمعاتبة الرب بقوله: "آه يارب أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي. لذلك بادرت إلي الهرب إلي ترشيش لأني علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطيئ الغضب وكثير الرحمة.. فالآن يارب خذ نفسي مني لأني موتي خير من حياتي" (٤:٣١). وهنا سأله الرب "هل أغتظت بالصواب؟" يعجبني في الرب محبته وحكمته وصبره وديموقراطية، فهو لا يغضب إذا أختلفنا معه ويجب أن يناقشنا حتي نقتنع بإرادته الكاملة عن طيب خاطر. أليس هو الذي سبق فقال "هلم نتحاجج يقول الرب" (أش ١:١٨).

لماذا تغتاظ بالصواب يايونان؟ هل لكوني أله رؤوف ورحيم فهذا يغضبك؟ وهل كنت تريدني قاسيا بلا رحمة؟ واذا لم أكن رؤوف ورحيم أما كنت أنت نفسك قد غرقت وهلكت وغرق معك ركاب السفينة وهلك كل شعب نينوي؟! وكيف كنت أصفح عن أهل نينوي بدون توبة؟ وكيف كانوا سيتوبون يؤمنون بلا كارز؟ ووجد الرب أن حالة يونان النفسية سيئة لا تسمح له بالتفاهم المنطقي السليم فأراد أن يخلصه من غمه وأعد له شجرة يقطين (مثل اللبلاب) تظلل علي رأسه من الشمس والحر، ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحا عظيما! ثم أطاح الرب باليقطينة فعاد يونان للغيظ وطلب الموت لنفسه!!

وعاد الرب يكرر السؤال ليونان "هل أغتظت بالصواب من أجل اليقطينة؟" وأجاب يونان "نعم. أغتظت بالصواب حتي الموت!" جميل أن يعترف الإنسان بأمانة وصدق وصراحة بخطيئته وضعفه. أن الرب يتعامل مع أولاده وخدامه بطرق متنوعة، بالاقناع تارة وبالتدليل والأحسان تارة أخري وبكل لطف وصبر "حتي يخرج الحق إلي النصرة" ويكسب يونان

وركاب السفينة وأهل نينوي معا ولا يخسر أحدا . كما أن الإنسان الأمين والسليم عموما، والخادم خصوصا ، لا يجب أن يغتاظ بالصواب وإنما عليه أن يبحث عنه ويخضع له بسرور.

السؤال الرابع – أفلا أشفق أنا علي نينوي؟

اختتم الوحي سفر يونان بعتاب الرب لخادمه ونبيه يونان "أنت أشفقت علي اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها. التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت. أفلا أشفق أنا علي نينوي المدينة العظيمة التي يوجد بها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة؟!" (يونان ٤: ١٠ ، ١١).

أن القصد من هذا السؤال هو اقناع يونان النبي الهارب المتمرد بخطأ تفكيره وعناده وخلل فهمه لرسالته وغلاظة قلبه ومشاعره. كيف تشفق أنت يايونان علي اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها ولا تريدني أنا أن أشفق علي أكثر من نصف مليون إنسان منهم ١٢ ربوة (والربوة هي عشرة آلاف) من الأطفال فقط الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم؟! أنت أشفقت علي اليقطينة التي ذبلت في يوم واحد ، ولا تريدني أن أشفق علي هذه النفوس الخالدة؟

ماأعظم مراحم الله وشفقته علي خليقته، فأنه يشفق علي الإنسان، ويشفق علي الحيوان فكانت آخر كلمات السفر "أنه يشفق علي بهائم كثيرة" وهو الذي علمنا بأن الصديق يراعي نفس بهيمته، أما مراحم الأشرار فقاسية" (أمثال ١٢: ١٠ ؛ متي١٠: ٢٩ ؛ تث ٢٢: ٦). كما أنه يشفق علي النبات "قصبة مرضوضة لا يقصف"، ويشفق علي الطيور "أليس عصفوران يباعان بفلس وواحدا منها ليس منسيا أمام الله؟.

لماذا نصوم اليوم صوم نينوي؟

يتساءل البعض "لماذا نصوم نحن اليوم صوم نينوي؟ فأين نحن من نينوي ومن شعبها الوثني... وهل نحن نصوم لإحياء التاريخ الغابر؟ وأبادر بالاجابة بأننا لا نصوم من أجل نينوي القديمة التي اندثرت ولكن لأغراض أخري أهمها :

(١) مثالية هذا الصوم في نوعيته وفاعليته

(٢) تشابه الظروف والأهداف.

(٣) تعليق السيد المسيح علي توبة أهل نينوي المتضمنة في صومها – ومقارنته بين جيل نينوي وجيله.

أولا – أنه صوم مثالي في نوعيته وفاعليته:

١– فهو صوم جماعي:

صام فيه شعب نينوي بالاجماع بنفس واحدة لم يشذ فيه أحد علي الإطلاق، فصام فيه الملك والوزراء والقادة وعامة الشعب بجميع طبقاتهم ووظائفهم وأعمارهم، الرجال والنساء والأطفال وحتي البهائم مما يشير الي الجدية والشعور بخطورة الموقف (يونان ٣). ولا شك أن الصوم الجماعي أقوي من الصوم الفردي. وقد عرف شعب الله الصوم الجماعي في العهدين القديم والجديد: أما في العهد القديم فكان الشعب يصوم يوم الكفارة العظيم (لاويين ١٦)، وصاموا ثلاثة أيام صوم نينوي، كما صاموا ثلاثة أيام أخري أيام الملكة استير ومردخاي، أبطل الله علي أثره مؤامرة هامان (استير ٤:١٦). وفي العهد الجديد أعلن الرب يسوع أن تلاميذه سيصومون متي أرتفع العريس عنهم (مت ٤:١٥)، وهو

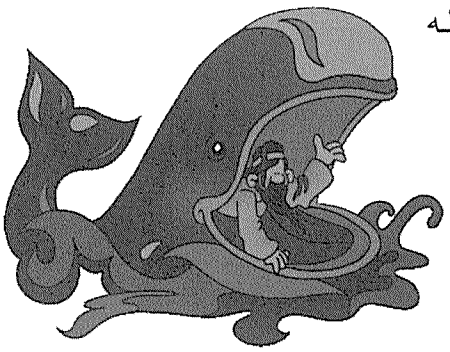

صوم الرسل المعروف في الكنيسة حتي اليوم. كما أشار لوقا البشير والرسول بولس الي صوم جماعي آخر كان بالكنيسة الأولي بقوله "وبعدما مضي الصوم" (اع ٩:٢٧). وقد تسلمت الكنيسة تقليد الصوم الأربعين المقدس وصوم أسبوع الآلام وصوم يومي الأربعاء والجمعة منذ العصر الرسولي.

٢- وهو صوم انقطاعي:

لم يذق فيه أحد من شعب نينوي طعاما أو يشرب ماءا لمدة ثلاثة أيام. إن البعض يصومونه هكذا... والبعض إلي ظهور النجوم مساءا... والبعض إلي غروب الشمس... والبعض إلي الساعة التاسعة (أي الثالثة بعد الظهر بتوقيتنا الحالي) وكل شخص حسب قدرته وظروفه وأرشاد أب أعترافه. أنه ليس فرضا ولكنه عبادة وخدمة ورياضة روحية. أن الأصل في أصوامنا أن تتضمن فترة انقطاع للساعة التاسعة وبعدها يجوز تناول بعض الأطعمة النباتية الخفيفة الخالية من الدسم الحيواني.

٣- وهو صوم مقترن بالتوبة والرجوع الي الله:

يحدثنا الكتاب أن شعب نينوي لم يكتف بالصوم فقط وأنما تاب جميعه ورجعوا عن طرقهم الردية والظلم الذي في أيديهم. وهذا هو السبب الذي جعل الله يقبل صومهم وتوبتهم معا (يون ٣:١٠) ولكن لو أكتفوا بالصوم بدون توبة لهلكوا وما قبل صومهم. إذن فالتوبة عن الخطية والشر عنصر أساسي في صومنا وعلاقتنا مع الله لأنه يقول "لست أطيق الإثم والاعتكاف - أي الصوم" (أش ١:١٣).

٤- وكان صوما بتذلل واتضاع وانسحاق:

لقد نزل ملك نينوي عن كرسيه وافترش مع الشعب المسوح والرماد مما يفيد قمة التذلل والاتضاع والانسحاق أمام الله. فيقول داود النبي "أذللت بصوم نفسي" ويقول "ركبتاي ارتعشتا من الصوم" كما يقول الرب علي فم أشعياء النبي في أصحاح الصوم المشهور أن الصوم المقبول "الذي أختاره يوما يذلل الانسان فيه نفسه ويحني كالأسلة رأسه" (أش ٥٨:٥).

ويعتب السيد المسيح علي البلاد التي صنع فيها أكثر قواته دون أن تتوب بأن تلك المعجزات "لو صنعت في سدوم وعمورة لتابتا قديما في المسوح والرماد؟

(متي ١١:٢٠ – ٤٢). اذن فلا يتفق مع روح هذا الصوم "ايجاد المسرة" (أش٥٨:٣) بالتسالي العالمية والتفنن في المأكولات الشهية. ولنلاحظ أن القلب المنكسر والروح المنسحقة لا يحتقرهما الله (مز٥١:٧١).

٥- وكان صوما جديا خطيرا للنجاة من الدينونة:

كان الأمر مسألة حياة أو موت. وكانت رسالة يونان تحذيرا وانذارا بقضاء ودينونة وشيكة أن تحدث في أجل محدد بمدة (٤٠) أربعين يوم "بعد أربعين يوما تنقلب نينوي" (يون ٣:٤). كانت رسالة واضحة محددة قصيرة ومركزة ومتكررة ومؤكدة ومصحوبة بآية خروجه حيا من بطن الحوت أمام الكثيرين. ليتنا نأخذ الصوم والحياة الروحية عموما مأخذ الجد بدل الروتين وندرك بأنه قد لا يكون أمامنا مدة أربعين يوما مهلة وذلك الأنذار الذي أعطاه الله علي فم يونان الي نينوي.

٦- وكان صوما مقرونا بصلوات حارة:

صرخ أهل نينوي أثناء صومهم الي الله بشدة وحرارة ودموع طالبين مراحم الله. وقد أستجاب الرب لهم وأشفق علي الشعب وعدل عن قضاء الدينونة. أن طلب الرحمة من النفس التائبة تجعل الصلاة مقبولة بنسبة ١٠٠ في المائة فهي الصلاة التي يحب الله أن يسمعها ويستجيبها ولا يرفضها أبدا. ولذلك تعتبر كنيستنا أكثر كنائس العالم طلبا للرحمة في صلواتها حتي أننا نصليها هنا بأربع لغات!!! والمهم أن يقترن الصوم بالصلاة والتوبة معا.

٧- وكان صوما فعالا بإيمان كامل:

كان أهل نينوي وثنيين من الأمم أصلا ولم يكونوا يهودا بل كانوا أشد أعداء بني اسرائيل. ولعل ذلك كان أحد أسباب رفض يونان الذهاب لهم. ولكنهم آمنوا بالآله الحي عن طريق كرازة يونان وصدقوا أقواله وتابوا فرحمهم الله وصاروا أفضل من المؤمنين الاسميين. والإيمان شرط لازم في التعامل مع الله لأنه "بدون إيمان لا يمكن أرضاء الله" (عب ١١:٦).

ثانيا – التشابه في أهدف الصوم:

الكتاب المقدس والتاريخ يخبراننا بأن نينوي قد سقطت وخربت في سنة ٦٠٥ ق.م. أي بعد مائة سنة من توبتها علي يد يونان النبي، إذ بسبب ارتدادها وعدم ثبوتها في معرفة الله ومحبته قد سقطت وانقلبت. ولذلك فقد سبق أن

ذكرت أننا لا نصوم من أجل نينوي القديمة التي اندثرت وان كنا قد احتفظنا باسم "صوم نينوي" لما يحمله من المعاني السابقة والتالية، إلا اننا نصوم من أجل "نينوي الجديدة؟ أي عالمنا المعاصر، لما في ذلك من تشابه في الظروف وأهداف الصوم. وتتلخص:

١- أن عالمنا الحالي يقترب بسرعة من أيامه الأخيرة ، وقد فاق في شروره وتدهوره خطايا نينوي الوثنية في الانحلال والفساد والزنا والشذوذ الجنسي والطلاق والاجهاض، وجرائم القتل والسرقة والسطو والظلم بجميع أنواعها. فضلا عن المخدرات والسكر والعربدة والقمار والالحاد وحروب الابادة التي تهدد بالدمار والفناء. لقد صور السيد المسيح خطايا العالم التي تسبق مجيئه الثاني بخطايا جيل الطوفان وجيل سدوم وعمورة ووصفها الرسول بولس بعشرين نوع من الخطايا البشعة في الأصحاح الأول من رسالته الأولي وعبر عنها بقوله "مبتدعين شرورا" (رومية ١:٣٠) أي أضافوا اليها شرورا أخري جديدة عصرية وكأن شرور تلك الأجيال الوثنية الفظيعة لم تكن كافية! أنه من مراحم الله الجبارة أنه يصبر علي العالم حتي الآن، والأمر يحتاج قطعا لمواجهة مضاعفة من كنيسة المسيح بالصوم والتوبة والصراخ الي الله ، كما فعل شعب نينوي في أيام يونان النبي.

٢- أننا نصوم ونصلي من أجل توبة "المتدينين" والمسيحين بالاسم ورواد الكنائس "والفريسيين المعاصرين" الذين استباحوا العرج بين الفرقتين والجمع بين النقيضين وصارت لهم صورة التقوي بدون قوتها. وانتشر بينهم الكذب والنفاق والغضب والادانة والانتقاد والخصومات والفتور الروحي وبرود محبة الكثيرين وفقدان الايمان وانعدام الرجاء، واهمال وسائط النعمة من الصلاة ودراسة الكتاب المقدس والاعتراف والتناول.

٣- نصوم ونصلي من أجل أولادنا، شبابنا وشاباتنا وأطفالنا، الجيل الجديد وكنيسة المستقبل وما يواجههم من تجارب شيطانية وما ينتظرهم من تحديات خطيرة تحت ستار العلم والفلسفة والاخلاقيات العصرية والاجتماعية والذوبان في العالم، ومن أجل حفظهم في دائرة النعمة والايمان والكنيسة والانجيل.

٤- نصوم ونصلي من أجل تقوية الكنيسة ونقاوتها وجدتها ونجاح خدماتها

وكثرة ثمارها ونموها وانتشارها وتحقيق أهدافها، بما يتناسب مع عصر الكمبيوتر والاذاعة والتلفزيون والصحافة والإعلام وترجمة ونشر التراث القبطي الخالد، وخلق مجالات عمل للمتعطلين والفقراء.

٥- نصوم ونصلي أن يرسل الرب فعلته الي حصاده وأن يعد خداما وكهنة وقادة المستقبل من أولادنا الأقباط الأمريكان شباب الجيل الجديد الذي تربي في المهجر ووضع حب الكنيسة وتراثها مع اللغة والثقافة الأمريكية أو الكندية والاسترالية.

٧- نصوم ونصلي من أجل الكنيسة الأم وأهلنا أقباط مصر وسلامتهم وغيرهم وفقراءهم وعدم ارتدادهم رغم الضغوط القاسية عليهم، وليحقق الرب بركته مع شعبه كما في القديم في مصر "حسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا" (خروج ١٢:١).

نعم وما أكثر الأسباب والأهداف التي تبرر وتستحق أن نصوم ونصلي من أجلها - فوق ما سبق - لنتعرف علي إرادة الله الصالحة وتحقيقها. لو وضعنا هذه الأهداف أمامنا لتبارك صومنا وأثمر ولما تذمرنا.

ثالثا - نصوم تمثلا بجيل نينوي الذي طوبه المسيح:

لقد أظهر الرب يسوع اهتمامه بقصة يونان ونينوي في أكثر من مجال . . . فمرة قارن بين آية يونان النبي وخروجه حيا من بطن الحوت بعد ثلاثة أيام ومرة أخري قارن بين جيل نينوي الوثني الذي آمن والذي سيقوم مع جيله اليهودي ويدينه لأنه تاب بمناداة يونان، بينما هؤلاء لم يؤمنوا ولم يتوبوا. وأخيرا قارن السيد المسيح بين شخصيتة ورسالته وشخصيته الآلهية ورسالة يونان حين قال "وهوذا أعظم من يونان ههنا" (مت ١٢:٤١).

فالمسيح هو رب يونان، ورسالته المحيية المفرحة أعظم من رسالة يونان التهديدية بالخراب والانقلاب، كما صاحب رسالة المسيح عددا لا حصر له من الآيات والمعجزات الجبارة المتلئة رحمة وخيرا واحسانا والتي خلت منها رسالة يونان. ولذلك فلا عذر لأحد يصوم صوم يونان ولا يستفيد من خلاص المسيح.

انكسرت بهم السفينة من جهة الايمان

حفلت الرسالتان الي تيموثاوس بوصايا وتحذيرات كثيرة كتبها الرسول بولس. حتي اذا أهملوا هذه التحذيرات "انكسرت بهم السفينة من جهة الايمان" (١تي ١:١٩). كان الرسول القديس بولس خبيرا بالسفر في البحر، وهو الذي حدثنا عن أسفاره الكثيرة في الخدمة، وقال أنه "ثلاث مرات انكسرت بي السفينة، ليلا ونهارا قضيت في العمق بأسفار مرارا كثيرة... بأخطار في البحر" (٢كو ١١:٢٥).

وروي لنا القديس لوقا البشير بأسلوبه الرائع في الأصحاح ٢٧ من سفر أعمال الرسل بأكمله أوصافا دقيقة لرحلة بولس الرسول الأخيرة الي روما في البحر وكان مرافقا له، فبدأه "فلما استقر الرأي أن نسافر في البحر الي ايطاليا.." وسرد تفاصيل أهوال هذه الرحلة رغم أنها كانت سفينة أسكندرية كبيرة يستقلها ٢٧٦ شخص، وقال: "لأن الرياح كانت مضادة ولم يمكنها أن تقابل الريح سلمنا فصرنا نحمل.. وفي اليوم الثالث رمينا بأيدينا أثاث السفينة. واذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياما كثيرة واشتد علينا نوء ليس بقليل انتزع أخيرا كل رجاء في نجاتنا.."

أن العقلية الروحية للرسول العظيم بولس جعلته يقارن ويترجم ويطبق أحداث الحياة الحاضرة الي تشبيهات ودروس روحية، ومن أمثلة ذلك مقارنته لأسلحة الحرب الرومانية بأسلحة الحرب الروحية (أفسس ٦:١٠ – ١٨)، والسباق والجهاد الروحي بالسباق اليوناني في الأولومبيات (١ كو ٩:٢٤ – ٢٧). كما تحدث عن الجندية المسيحية وفلاحة الله (١ تي ٢).

الإنسان والسفينة:

شبه الرسول بولس رحلة الانسان في العالم بالسفينة التي تمخر عباب البحر، وكيف تكون الرحلة آمنة سالمة أو خطرة بحيث يمكن أن تتحطم السفينة وتغرق بمن عليها، فكل رحلة لها بداية ونهاية. وقد تكون الرحلة ممتعة في بحر هادئ ، وقد تتعرض الرحلة لعاصفة مدمرة وبحر هائج مضطرب. والسفينة تحتاج لربان خبير بالسفينة وبالبحر، ولا شك أن نهاية الرحلة ونتيجتها أهم من بدايتها. والمهم أن تصل السفينة بسلام الي بر الأمان.

فيوجد أناس يبدأون رحلتهم بداية طيبة لكنهم بسبب الجهل أو عدم الايمان أو عدم الحكمة أو عدم الصبر يضيعون في الطريق وتنتهي رحلتهم نهاية مأساوية محزنة بالغرق الأبدي.

أسباب حطام السفن:

أولا – العواصف الشديدة:

ومن أشهرها في الكتاب المقدس ثلاثة هي العاصفة التي هبت علي سفينة يونان، والعاصفة التي حطمت أسطول سفن الملك يهوشافاط، والعاصفة التي هبت علي سفينة الرسول بولس.

١- عاصفة يونان النبي:

يخبرنا الكتاب أن الله أرسل هذه العاصفة الشديدة خصيصا بسبب هرب يونان من الله. لقد أرسله الرب الي نينوي برسالة انذار خطيرة ان لم يتوبوا ويصلحوا طرقهم في ظرف اربعين يوما فسوف تنقلب نينوي وتهلك. فلما عصي يونان وحاول الهرب من وجه الرب، اضطر الرب أن يستعمل معه عصا التأديب فحاصر سفينته في وسط البحر بريح عاصفة مخيفة وأمواج عاتية حتي كادت السفينة أن تنكسر وصرخ الملاحون من الفزع وصلوا ونذروا نذورا والقوا عفش السفينة في البحر بدون جدوي – حتي اعترف لهم يونان بأنه هو سبب المصيبة لأنه هارب من وجه الرب خالق البحر والبر وأنه لا أمل ولا حل ولا نجاة إلا بطرحه في البحر. وقد تأكد الملاحون الوثنيون من صحة كلامه عندما طرحوه في البحر فهدأ البحر فعلا وانتهت العاصفة! من يتصور أن هروب انسان من الله يمكن أن يتسبب في مثل هذه العاصفة الرهيبة؟ لقد كان ممكنا أن يهلك يونان، وهو نبي مثل بلعام، اذا استمر في عناده، وكان ممكنا أن تغرق السفينة كلها بمن فيها وتهلك نينوي أيضا لو أصر يونان علي موقفه الخاطئ من تحدي الارادة الالهية. ولكن شكرا لله الكلي الرحمة والقدرة والحكمة أنه استعمل وسائله الخاصة في خلاص وانقاذ الجميع بسبب توبة يونان.

وأنت ياأخي احفظ مزمور ١٣٩ جيدا لتعرف أنك لا يمكن أن تهرب من وجه الرب مثل يونان، أو تظل تائها وهاربا مثل قايين (تك ٤:١٢) لأن من يهرب من الله يهرب من الحياة ومن الخلاص ومن الحب ومن النور ومن

السلامة، كتب أحد الشعراء الذي جاز هذا الاختبار مصورا صوت الله معاتبا له وقائلا:

أيها الهارب مني ما مذاق البعد عني؟

هل علي تقسو أم علي ذاتك تجني؟

٢- عاصفة الملك يهوشافاط:

كان يهوشافاط من أفضل وأتقي ملوك يهوذا، الا أنه وقع في خطئين فادحين أولهما أنه صاهر أخاب ملك اسرائيل الشرير وزوجته الشريرة ايزابل وتزوج ابنتهما، وشارك أخاب في حرب خاسرة. والخطأ الثاني أنه أتحد مع أخزيا ملك اسرائيل الشرير وشاركه في عمل أسطول من السفن التجارية الكبيرة التي تستطيع السفر من اسرائيل الي ترشيش (أسبانيا) . ولكن نظرا لغضب الله علي هذا التحالف الخاطئ فقد أرسل الرب عاصفة شديدة حطمت له كل سفنه العملاقة وهي في مهدها بميناء عصيون جابر قبل أن تقوم برحلتها الأولي! فيخبرنا سفر أخبار الأيام الثاني أصحاح ١٩:١-٣ أن ياهو بن حناني الرائي وبخ الملك يهوشافاط بقوله: "أتساعد الشرير وتحب مبغضي الرب. فلذلك الغضب عليك من قبل الرب". وبخصوص الخطأ الثاني يقول: "وبعد ذلك اتحد يهوشافاط ملك يهوذا مع أخزيا ملك اسرائيل الذي أساء في عمله فاتحد معه في عمل سفن تسير الي ترشيش فعملا السفن في عصيون جابر. وتنبأ اليعزر بن دوداواهو علي يهوشافاط قائلا: لأنك اتحدت مع أخزيا قد اقتحم الرب أعمالك فتكسرت السفن ولم تستطع السير الي ترشيش" (٢أخ٢٠:٣٥-٣٧). اذا فالانسان الذي يسير حسب هواه ومزاجه الخاص ضد ارادة الله يضر نفسه وهذا ما يقرره صاحب الأمثال "من يخطئ عني يضر نفسه" (أم ٨:٣٦) يوصينا الكتاب "لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين لأنه أية خلطة للبر والأثم وأية شركة للنور مع الظلمة، وأي أتفاق للمسيح مع بليعال (الشيطان)" (٢كو٦:١٤). أن هذه الخلطة خطيرة جدا ومدمرة سواء كانت في الزواج أو العمل أو التجارة أو مجرد الصداقة والتسالي "فالمعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو١٥:٣٣).

٣- عاصفة الرسول بولس:

أن هذه العاصفة التي تعرضت لها سفينة الرسول بولس والسابق الاشارة اليها (أعمال ٢٧)، كانت علي خلاف العاصفتين السابقتين، لم تحدث بسبب خطأ من جانبه، وانما بالعكس بسبب عدم الأخذ بنصيحته وتوجيهاته وخبرته وارشاد الله له. فيقول الكتاب "ولما صار السفر في البحر خطرا اذ كان الصوم قد مضي جعل بولس ينذرهم – وهو أسير – قائلا: أيها الرجال أنا أري أن هذا السفر عتيد أن يكون بضرر وخسارة كثيرة ليس للشحن والسفينة فقط بل ولأنفسنا أيضا. ولكن كان قائد المئة ينقاد الي ربان السفينة والي صاحبها أكثر مما الي قول بولس".

أن بولس هنا هو رسول المسيح ويمثل الكنيسة ورعاة الكنيسة الذين وصفهم بأنهم "خدام ووكلاء سرائر الله (١كو ٤:١) . أنه يمثل الأساقفة والكهنة وآباء الاعتراف. ولذلك توجب الكنيسة أن يكون لكل مؤمن أو مؤمنة أب اعتراف يتعهده ويرعاه رعاية شخصية لحفظه من أخطار وشرور كثيرة والعمل علي نموه في النعمة وبنيانه في الايمان، ومن يهمل ذلك أو يدخله الغرور والكبرياء ولا يصغي لصوت الله علي لسان أبيه الروحي ومرشده يضر نفسه ويحرم ذاته من امتياز كبير وترتيب الهي شرعه المسيح نفسه (يو٢٠:٢٢,٢٣ – مت ١٨:١٨) ، وهو بذلك يعرض نفسه الي أن تنكسر به السفينة من جهة الايمان.

ثانيا – فقدان الهدف والاتجاه:

كانت السفن قديما في أيام الأنبياء والرسل بدائية تسير بالشراع والمجاديف والدفة وربما البوصلة. وكانت تتعرض لخطر الحطام اذا فقدت هذه الأشياء أو بعضها. في العصور الحديثة تحطمت وغرقت الباخرة العملاقة عابرة المحيط "تايتانك" بسبب تعطل الرادار وأجهزة الأنذار فأرتطمت بجبل ثلج! وفي مايو ١٩٤١ أثناء الحرب العالمية الثانية غرقت البارجة الألمانية الأسطورية بسمارك (المحصنة ضد الغرق) في شمال المحيط الأطلنطي إذ أصابها "طوربيد" بريطاني حطم دفتها ففقدت السيطرة علي الاتجاه.

أن هدفنا هو المسيح واتجاهنا هو ملكوت الله والبوصلة والرادار والدفة

والخريطة تمثل كلمة الله (الكتاب المقدس) وعمل الروح القدس فينا. فإذا أهملنا الكتاب والتعليم الصحيح وفسد الضمير وانحرفنا إلي الخرافات انكسرت بنا السفينة من جهة الإيمان (١تي ١:١٩).

ثالثا – الاصطدام بصخرة أو بسفينة أخري:

من أسباب حطام السفن أيضا، اصطدامها بصخور أو بسفن أخري، سواء بسبب العواصف أو عدم وضوح الهدف أو تعطل الرادار أو تلف عجلة القيادة أو الدقة. وهذه الصخور تمثل أحجار العثرات في الحياة الروحية فما أخطر العثرات في الكنيسة، أحيانا تكون قاتلة وتتسبب في غرق الضعفاء والصغار. ولذلك قال رب المجد "ويل للإنسان الذي به تأتي العثرة... ومن أعثر أحد الصغار فخير له أن يعلق في عنقه حجر الرحي ويغرق في لجة البحر" (مت١٨:٦ ؛ مر٩:٤٢). وأما مصادمة السفن في بعضها، أو مصادماتنا مع بعضنا، فتؤدي إلي غرق السفينتين المتصادمتين معا غرقا عنيفا مستعجلا!

رابعا – وجود ثقب أو فتحة في السفينة:

أن حدوث كسر صغير أو ثقب بسيط أو أي فتحة أو فجوة يكفي لتسرب مياه البحر داخلها وإغراقها، أن هذا الثقب أو الفتحة في المركب قد يكون مثل فم الإنسان المفتوح وكثرة كلامه وثرثرته. وما أكثر وأخطر خطايا اللسان "فكثرة الكلام لا تخلو من معصية" "ويوجد من يهذر مثل طعن السيف" راجعوا الاصحاح الثالث من رسالة يعقوب الرسول فهو مخصص كله للتحذير من هذا العضو الصغير الخطير الذي شبه بدفة السفينة ، واذكر أن كل كلمة بطالة سوف يعطي الناس حسابا عنها في يوم الدين" لذلك يقول الكتاب "لا تخالط المفتح شفتيه" وأن "شفتا الجاهل تبتلعانه" وأن "بكلامك تتبرر وبكلامك تدان"...

قد توجد أسباب أخري كثيرة تؤدي لحطام السفن ولكن اقتصر علي هذه مصليا أن يرحمنا الله وينجينا منها حتي تصل سفننا إلي الميناء بسلام.

النوم في الكنيسة!

"أنر عيني لئلا أنام نوم الموت" (مز ١٣:٣)

النوم في الكنيسة هو موضوع معزي للوعاظ الكسالي!

وكما توجد كنائس حية نشيطة مثمرة ومؤثرة، هكذا توجد كنائس تغط في نوم عميق سواء في خدمتها الروتينية البطيئة الفاترة أو في عظاتها المملة الخالية من الحياة والحرارة والحماس والدراسة والفائدة والتجديد بحيث تساعد علي النوم...

في أحدي المرات كنت أعظ عن هذا الموضوع وحتي لا ينام أحد بدأت ببعض القصص القصيرة الطريفة عن النوم في الكنيسة.

ومنها أن أحد الحاضرين قال لصديقة "شفت حنا نام وشخَّر إزاي؟ فأجابه "طبعا لاحظت لأن شخيره صحَّاني!" ومرة سأل الواعظ سيدة : هل أنا قلت حاجة زعلت زوجك أو أعثرته حتي أنه قام وخرج من الكنيسة أثناء العظة؟ فقالت الزوجة: "لأ أبدا. لا تقلق فإن زوجي مصاب بمرض المشي أثناء النوم !"

لاشك أن النوم نعمة إذ يجدد الصحة والنشاط ويريح العقل والأعصاب وأعضاء الجسم ولولاه لأصيب الإنسان بالانهيار العصبي وتحطمت حياته. **ولكن النوم الذي أتحدث عنه هو النوم في غير وقته ولا مكانه الطبيعي السليم، كالنوم في العمل أو في الكنيسة أو أثناء قيادة السيارة، والذي يهمني هنا ليس النوم الجسدي ولكن النوم الروحي الذي غالبا ما يؤدي الي كارثة أو إلي الموت.**

واليكم أربعة أمثلة لأربعة أشخاص ناموا وماتوا أثناء نومهم أو نجوا من الموت بمعجزة...

أولا – شمشون نام نوم الشهوة (قض ١٦:١٣)

كان شمشون رجلا قويا جبارا في عضلاته، ولكنه كان ضعيفا جدا أمام الجنس الآخر. وهذا بالرغم من أنه ولد في أسرة تقية، وكان نذيرا للرب ووصل إلي مركز القمة ، فصار قاضيا لاسرائيل وقائدا عسكريا ورئيس

الدولة وقد قضي لشعبه وأنتصر لهم لمدة عشرين سنة، ولكنه لم يستطع أن يهزم الشهوة وميوله نحو النساء. فتقول قصته:

١- أول كلمة مسجلة له كانت "رأيت امرأة" (قض١٤:٢).

٢- كان ينجذب للجنس الآخر علي أساس الشكل الخارجي فقال لأبيه وأمه "رأيت امرأة من بنات الفلسطينيين والآن خذاها لي امرأة؟ (قض ١٤:٣).

٣- ثم ذهب شمشون الي غزة ورأي هناك امرأة زانية فدخل إليها!" (قض ١٦:١).

٤- "وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في وادي سورق اسمها دليلة" (قض ١٦:٤).

لقد نسي نذره وصار مشغولا برغباته الشهوانية الكثيرة لدرجة انه لم يدري أن الرب فارقه (قض١٦:٢٠). أن نتائج شهوات شمشون غير المكبوحة معروفة للجميع. لقد فقد المسكين قوته الخارقة وسمعته وهيبته ووظيفته وأمجاده السابقة فحلق له أعداؤه (الفلسطينيون) شعره ، فصار أقرعا وقلعوا له عينيه وربطوه بسلاسل نحاسية وجعلوه يطحن كثور ثم أستحضروه ليلعب أمامهم كبهلوان!.

لقد بدأت الكارثة بأن أنامته دليلة علي ركبتيها (قض ١٦:١٩).

فالشهوة أنامته وسجنته وربطته وأعمته وأفقدته إنسانيته وأخيرا قتلته في معبد الوثنيين! أن الآية التي تستحق أن توضع علي قبر شمشون هي "طرحت كثيرين جرحي وكل قتلاها أقوياء" (أم٧:٢٦).

أن خير وسيلة لمواجهة الشهوات الشبابية هي 'أهرب منها (٢تي٢:٢٢)، وهذا ما فعله يوسف الصديق (تك ٣٩:٩). ومكتوب أن الحكيم يبصر الشر فيتواري. الحمقي يعبرون فيعاقبون (أم ٢٧:١٢). فأهرب لحياتك ولا تنظر إلي الوراء ولا تقف في كل الدائرة (تك ١٩:١٧). أهرب من المناظر الفاضحة لتجار الجنس علي الأنترنت ، فهذا نوع من الزنا، وأهرب من النظرة الشهوانية الأولي لئلا تنام نوم الموت. أذكر قول أيوب 'عهدا قطعت لعيني فكيف أتطلع في عذراء (اي ٣١:١).

ثانياً – سيسرا نام طالباً الراحة عند الأعداء (قض ٤:٢١).
كان سيسرا هو القائد العسكري ليابين ملك كنعان الذي أذل اسرائيل بشدة لمدة عشرين سنة ، وكان لديه ٩٠٠ مركبة من حديد، فلما حاربه باراق ودبورة – بعد الصراخ للرب لينقذهم منه – هرب سيسرا وكان قد أرهقه التعب والعطش، ودخل إلي خيمة ياعيل امرأة حابر القيني طالبا قليلا من الماء والنوم. وما أن نام حتي ضربته ياعيل بوتد الخيمة الحديد في صدغه فنفذ إلي الأرض ومات في الحال (قض ٤:٢١).

أن الذي قتل ذلك القائد الخطير سيسرا هو نومه وطلبه الراحة في معسكر الأعداء. لا توجد حقيقة مضمونة ومأمونة للراحة إلا في المسيح الذي قال بحق "تعالوا إلي ياجميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت١١:٢٨). وأما الذين يطلبون الراحة والمتعة والتسلية عند الشيطان، سواء في سدوم وعمورة، أو في لاس فيجاس، أو النوادي الليلية ومواخير الفساد والمخدرات والقمار، فإنهم ينتحرون ويقودهم هذا النوم إلي الموت المحقق. أنه من الجنون أن ننتظر راحة عند الأعداء، وهذا هو الفارق بين الراعي الصالح والجزار. (أبليس).

ثالثاً – يونان نام نوم الضمير (يونان ١:٥).
هرب يونان من وجه الرب وعصي أمره ومشيئته، وبدلا من الذهاب إلي نينوي لتحذيرها من الخراب الوشيك بعد أربعين يوما ، سافر في الطريق العكسي، إلي ترشيش، ونزل إلي جوف السفينة، ونام نوما ثقيلا! لست أدري كيف نام هذا النوم الثقيل وسط العاصفة المخيفة وصراخ الركاب والنوتية من الخوف؟ وكيف أتاه ذلك النوم الثقيل وهو يعلم أن الرب غاضب عليه ، وأن هذا النوء العظيم بسببه وأن عدم ذهابه إلي نينوي يعني هلاك مئات الألوف من البشر!

هذا هو نوم الضمير الذي أصابه التخدير وكاد أن يؤدي إلي غرق يونان في البحر وإلي أفتراس الحوت له، لولا أن تداركته مراحم الرب وتاب يونان وهو في بطن الحوت!

أن من أمراض الضمير أن يتسع ليبلع الجمل ويبرر كل خطأ لنفسه بالباطل، أو أن يضيق جدا ليصفي عن البعوضة، فيكون موسوسا يستحرم الحلال.

ولذلك فيجب أن ينضبط الضمير السليم علي كلمة الله ويستنير بروح الله، **لذلك يقول الرسول بولس ʼأدرب نفسي كل يوم ليكون لي ضمير بلا عثرة من نحو الله والناسʼ** (اع ٢٤:١٦).

رابعاً – أفتيخوس نام وقت الخدمة فسقط ميتا (أع ٢٠:٩).

يخبرنا سفر أعمال الرسل أن الرسول بولس أطال الكلام إلي منتصف الليل، وكان الشاب أفتيخوس جالسا في الطاقة متثقلا **بنوم عميق فسقط من الطبقة الثالثة إلي الأرض وحمل ميتا**. هذا حادث رابع يؤدي فيه النوم إلي الموت. فماذا نسمي النوم هنا وما سببه؟ ومن يستطيع النوم والرسول المغبوط بولس يتكلم؟ هل كان ذلك نوم السرحان وعدم التركيز أو عدم تقدير المتكلم أو الموقف؟ أم كان ثقل الجسد والتعب والأرهاق، كما نام التلاميذ مرة أثناء مشهد التجلي، ومرة أخري في بستان جسيماني، وعلق الرب نفسه علي ذلك "أن الروح نشيط وأما الجسد فضعيف" (مت٢٦:٤١). بل قد نام السيد المسيح نفسه مرة في السفينة، ولكن شتان بين نوم المرهق من الخدمة وبين نوم يونان الهارب من الخدمة....

من أسباب النوم في الكنيسة غالباً ما يكون السهر مساء السبت في المسامرات أو أمام التليفزيون ، فيأتون إلي الكنيسة صباح الأحد متأخرين أو شبه نائمين ! وربما السبب هو بعض الأدوية..

أيا كان سبب النوم، فعلينا أن نستيقظ ونسهر مع العذاري الحكيمات ونملأ مصابيحنا بالزيت ونصلي مع داود **ʼأنر عيني لئلا أنام نوم الموتʼ** ونصغي لقول الرسول بولس **ʼأستيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضيئ لك المسيحʼ** (أف ٥:١٤).

وعندئذ نختبر قول الكتاب **ʼيعطي حبيبه نوماً**.

قال رب المجد ʼأسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربةʼ (مت ٢٦:٤١). ويقول الرسول بطرس ʼأصحوا وأسهروا (١بط٥:٨). ولعلنا نذكر قصة القديس الأنبا بيشوي الذي كان يربط خصلة من شعر رأسه بوتد في السقف حتي إذا غلبه النوم ونام أثناء السهر وهو يصلي ومال، يشد الوتد شعره فيوقظه فيستمر في السهر والصلاة...

هؤلاء طلبوا الموت لأنفسهم!

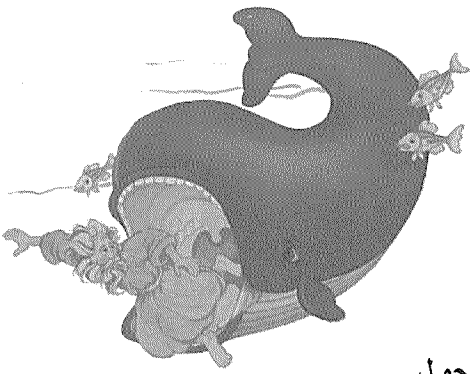

الموت كلمة بغيضة ومكروهة عند جميع الناس حتي أن الإنسان بطبعه يكره أن يفكر في الموت ويخاف منه. **وأما لماذا...؟ فلأن الإنسان يخشي المجهول دائما والناس أعداء ما جهلوا. فالمعتقد عن الناس أن الموت نهاية لحياتهم وأنه يحول حياتهم إلي تراب**، وأنهم بعد التنعم بالفراش الدافيئ سوف يدفنون في قبر بارد ضيق يقاس بالأشبار وفي بطن الأرض المظلمة ويصيرون طعاما للديدان. وأيضا الموت يفصلهم عن أحبائهم الذين علي الأرض، وأنه بمرور وقت قصير سوف ينساهم الجميع ولا يحتفظ لهم إلا القلة ببعض الذكريات أو الصور المعلقة علي الحوائط لفترات بسيطة، وحتي هذه أيضا تندثر ! قالت لي مرة سيدة مات زوجها وهاجر أولادها وتزوجوا وتركوها وحيدة، إن المنزل تحول إلي متحف صور.

ولكن أكثر ما يخشاه الإنسان وينزعج له عن الموت، هو ما بعده... أي حقيقة الدينونة والمصير الأبدي وعدم الاستعداد له والرعب من الهلاك الأبدي في جهنم. فالكتاب يقول "وضع للناس أن يموتوا مرة وبعد ذلك الدينونة" (عب ٩:٢٧). ويقول في موضع آخر "أنفتحت أسفار ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم... وكل من لم يوجد مكتوبا في سفر الحياة طرح في بحيرة النار" (رؤ٢٠:١١-١٥).

ولذلك ما أجمل وأهم الطلبة التي تقال في صلاة تحليل الكهنة "أعنا يارب علي سكرات الموت وما قبل الموت وما بعد الموت".

ومع أن الرب يسوع المسيح له المجد قد غلب الموت وداسه ونزع شوكته بفدائه وبقيامته وأعطانا الحياة الأبدية، إلا أنه حتي القديسين خافوا الموت إذ يحدثنا التقليد بأن الرسول بطرس خشي أن يذهب إلي روما ليستشهد في أضطهاد نيرون، لولا ظهور المسيح حاملا صليبه لمرقس الشاب الذي كان يسير بجواره، فلما سأله إلي أين أنت ذاهب ياسيدي فأجابه: "إلي روما لأصلب ثانية، طالما إن بطرس لا يريد الذهاب إلي هناك!". وأيقن بطرس إن الرب يريده هناك في روما لتثبيت المؤمنين حسبما سبق وأعلن له بعد القيامة بقوله: "الحق الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء. ولكن متي شخت فأنك تمد يدك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء. قال هذا مشيرا إلي أية ميتة كان مزمعا أن يمجد الله بها" (يو٢١: ١٨-١٩). بل وحتي الرسول بولس أيضا قال في هذا المجال: "فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها، بل أن نلبس فوقها لكي يبتلع المائت من الحياة" (٢كو٥: ٤). ولذلك وصف الكتاب المقدس الموت بأنه "ملك الأهوال" (أي١٨: ١٤)، بأنه "آخر عدو يبطل هو الموت" (١كو١٥: ٢٦).

ولكن بالرغم من هذا كله فيحدثنا الكتاب عن بعض الأفراد الذين طلبوا الموت لأنفسهم في ظروف مختلفة وبدوافع مختلفة مثل:

يونان في غيظه وعناده – وإيليا في ساعة ضعفه – وسمعان الشيخ في إطمئنانه علي خلاصه – وبولس الرسول في حبه وأشتياقه للمسيح.

وفيما يلي نقول كلمة موجزة عن كل منهم...

١- يونان النبي يطلب الموت في غيظه وعناده

يونان خالف أمر الله الصريح المعلن إليه بأن يذهب إلي نينوي المدينة الكبيرة الشريرة وينذرها بالتوبة والرجوع إلي الله وإلا بعد أربعين يوما سوف تنقلب وتدمر وتهلك. وبالرغم من خطورة المهمة العاجلة إلا أنه عصي ورفض وهرب وعاند!

كان يونان يعرف من النبوات أن هذه المدينة الشريرة القاسية سوف تستخدم عصا تأديب وعقاب لإسرائيل. وكان وطنيا غيورا متعصبا فلم

يطيق عمل خيرا لإعداء إسرائيل وخلاصهم ولكن مهما كانت النوايا طيبة فلا يجوز لخادم الله أن يعصاه لأنه "ما أكثر مراحم الله فأن "الوقوع في يد الله خير من الوقوع في يدي إنسان لأن مراحمه كثيرة".

وعناد يونان لم يغير من قضاء الله، فإن الله يستطيع تنفيذ مقاصده الإلهية بنا أو بدوننا. وقد نفذ الرب إرادته بالفعل عن طريق يونان ورغم عصيانه. والعجيب أن الله أستطاع أن يستخدم عصيان وهروب يونان في السفينة لخلاص ركاب السفينة الوثنيين، كما أستطاع عن طريق طاعة يونان المتأخرة أن يخلص نينوي بأكملها!

وقد بلغ عناد يونان أن يعترف بأنه هارب من وجه الرب وأنه بسببه هو "هذه المصيبة" أي العاصفة الشديدة، وبدلا من أن يصحح وضعه، تمادي في إصراره وعناده بطلب إلقائه في البحر، ولما عمل البحارة قرعة، ووقعت بالتحديد علي يونان، ولم يكن هناك بدا من رميه في البحر. وكانت مفاجأة مرعبة ليونان أن يجد حوتا ضخما في أنتظاره ويبتلعه!

إن موقف يونان يشبه إلي حد ما موقف شاول الملك حين عصي أمر الله وعاند ظنا منه أنه أستبقي خيار الغنم ليقدم منها ذبائح للرب، فقال له صموئيل النبي: "هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما بإستماع صوت الرب. هوذا الإستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش. **لأن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم** (١صم١٥:٢٢-٢٣). إذا فالكتاب يعتبر العناد والتمرد كعبادة الأوثان.

وأخيرا رجع يونان إلي صوابه إلي الله، وتاب وصلي صلاة مؤثرة من جوف الحوت وأعترف بأن "الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم" (يونان ٢:٨). وخلص الرب يونان ليخلص به نينوي.

وذهب يونان إلي نينوي وكرز ونجحت رسالته ١٠٠٪ وكان ينبغي أن يفرح ولكنه علي العكس أغتم وأغتاظ وطلب الموت لنفسه وقال **والآن يارب خذ نفسي مني لأن موتي خير من حياتي؟!** وتعامل الله معه بصبره العجيب وقال له: "هل أغتظت بالصواب"؟! ومن العجب أن يجيب يونان الرب بكل صراحة، قائلا: "أغتظت بالصواب حتي الموت"!! (يونان ٤:٩)

جيد أن يكون الإنسان صريحا ومخلصا مع الله في أعترافه، ولكن ليس جيدا أن يكون عنيدا أو غضوبا عنيفا، فيغضب باطلا ويغتاظ بالصواب. فالحكيم سليمان يقول: "الكثير التوبخ المقسي عنقه بغتة يكسر ولا شفاء". وقال أصحاب أيوب له: "يا أيها المفترس نفسه في غيظه، هل لأجلك تخلي الأرض". وقد وصل الأمر بالنبي يونان ليس فقط بأن يغتاظ بالصواب ولكن أيضا بعد أن أنقذه الرب مرة من الغرق في عرض البحر، ومرة أخري من أن يفترسه الحوت، أن يعود فيطلب الموت لنفسه في عناده! أليس حقا ما يقال بأن "العناد يورث الكفر"..

٢- إيليا يطلب الموت لنفسه في ساعة ضعفه:

أحدث إيليا نهضة جبارة وقضي علي أنبياء البعل وحول قلب الشعب المرتد رجوعا إلي الله. ولكن إيزابيل الملكة الشريرة بعثت إليه برسالة تهديد عاجلة بأنه في الغد سوف تقتله وسيلحق بأنبياء البعل. وإذ بإيليا نبي النار العظيم الذي صنع المعجزات وأقام الموتي وأغلق السماء بصلاته ثلاثة سنين ونصف وأنزل نارا من السماء لتأكل جنود الملك... يخاف ويهرب ويخشي علي حياته وعلي كرامته، ويطلب الموت لنفسه ويقول للرب: "قد كفي الآن يارب، خذ نفسي لأنني لست خيرا من آبائي"!

حقا أن الحياة الروحية مرتفعات ومنخفضات، جبالا وقمم ووديان. فلا ننزعج إذا ضعفنا أو قل إيماننا أو سقطنا فهذه من طبيعة الضعف البشري، ولكن المهم ألا نستسلم للضعف أو التعثر، بل نقوم ونقول للخطية: "لا تشمتي بي ياعدوتي أن سقطت أقوم" (ميخا ٧:٨). ونعلم أن "الصديق يسقط سبع مرات ويقوم" (أمثال ٢٤:١٦). أي مهما سقط فلابد أن يقوم ولا يستسلم للسقوط ولا للخطية.

لقد طلب إيليا الموت لنفسه في ساعة ضعف وخوف، ولكن الله لم يستجب له ورأي له شيئا أفضل، وقال له كلا لن تموت وإنما ستصعد حيا إلي السماء! وأرسل له المركبة الإلهية التي يقودها الملائكة لتصعده في العاصفة إلي السماء! إن الله يعرف ضعفنا ولا يتركنا ولا يهملنا ولا تنقص محبته ولا تتغير مراحمه علينا وإنما يكرم قديسيه ويحل عليهم بقوته.

٣- سمعان الشيخ يطلب الموت لإطمئنانه علي خلاصه:

لقد أشترك سمعان الشيخ في الترجمة السبعينية للعهد القديم من العبرية إلي اليونانية سنة ٢٨٥ ق.م. وظن أنه هناك خطأ في آية أشعياء النبي ١٤:٧ "هوذا العذراء تحبل وتلد أبنا ويدعي أسمه عمانوئيل" وحاول تغيير كلمة (عذراء) إلي (سيدة). ويقول التقليد أن ملاك الرب ظهر له وحذره من إجراء أي تغيير وأعلن له الروح القدس أنه لن يموت حتي يري بعينيه إتمام هذه النبوة.

فلما ولد الطفل يسوع، وجاءت به أمه إلي الهيكل حمله سمعان علي يديه وبارك الله وقال "الآن تطلق عبدك ياسيد بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك..." (لو٢:٢٩ – ٣٠). لقد تعب سمعان من الشيخوخة، إذ كان طاعنا في السن ولم تعد له أي لذة أو رغبة للبقاء في العالم. ولكن أهم من ذلك أنه أطمأن علي خلاصه، وبأن جسده سيسكن علي الرجاء وأراد أن ينطلق كإنسان سجين أو طائر حبيس وصار الموت محببا لديه لأن فيه راحة وسلام وخلاص وأطمئنان علي الأبدية.

٤- بولس الرسول يطلب الموت في مجد الخدمة ومحبة المسيح:

أما الرسول بولس فقد طلب الموت بل أشتهاه ووصفه بأنه ربح وكسب وقال "لي أشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذلك أفضل جدا" (في ١:٢١ – ٢٣).

لقد فاق الرسول الطوباوي بولس الجميع، إذ لم يخف من الموت ولم يطلبه تطرفا في الغيظ والعناد ولا خشية تهديد أو خوف علي كرامة ولا شبعا من العمر، ولكنه أشتهي الموت الذي يسرع به للقاء الرب يسوع حبيبه. لقد ظهر له الرب وأختطفه للفردوس، فأشتهي الإنطلاق في مجد المسيح، وهو في مجد الخدمة.

لم يعد الموت عدوا له حتي يخشاه ولكنه بعد قيامة المسيح أصبح صديقا وحبيبا يشتاق إليه ويعتبره ترقية وتحقيقا لرجائه، وأنتقالا من الضعف إلي القوة ومن الهوان إلي المجد ومن الجسد الحيواني إلي الجسد الروحاني السماوي الذي علي صورة جسد مجد المسيح (١كو١٥ ؛ في ٣:٢١)، كما نصلي "حولت لي العقوبة خلاصا".

صدفة أم عناية؟

يسمي سفر أستير بسفر العناية بالرغم من أن اسم الرب لم يذكر فيه ولا مرة واحدة ! ولكن يد الرب وعنايته الآلهية تظهران عاملتان في جميع أحداث السفر من وراء الستار. ولعل السفر الثاني الذي تظهر فيه يد الرب وعنايته تسيطران علي الأحداث هو سفر يونان. حقا أن ربنا موجود، ولو لم نره بعيوننا الجسدية في هذا العالم، ولكننا نلمسه بالإيمان وندرك أعماله العجيبة معنا وحولنا في كل ظروف الحياة، حتي أننا نستطيع أن نقول مع الرسول بولس أننا "به نحيا ونتحرك ونوجد" (اع ١٧: ٢٨).

ونحن نتساءل:

هل كان وصول أستير إلي الملك لتكون أول ملكة يهودية علي شعب وثني صدفة أم عناية؟ وهل كان أرق الملك أحشويرش وطيران نومه طوال تلك الليلة بالذات ليقرأ سفر الأخبار المسجل فيه أنقاذ مردخاي له من مؤامرة آغتياله، وذلك في نفس اليوم الذي كان رئيس وزرائه الشرير هامان يريد أخذ موافقة الملك علي إعدام مردخاي صلبا علي الصليب الذي أعده له، وبذلك أرتدت المؤامرة علي رأس صاحبها هامان فيعدم هو وأولاده العشرة بينما يكرم مردخاي ويرث منصبه الكبير... فهل كان كل ذلك وليد الصدفة العمياء، أم من تدبير العناية الآلهية العجيبة الحكيمة؟

وفي حياة يوسف الصديق... هل كانت محاولة قتل أخوته له وإلقائة في البئر، ثم بيعه للإسماعيليين المسافرين إلي مصر، وأشتغاله في بيت فوطيفار التي أنتهت بزج يوسف في السجن ظلما، وتفسير يوسف لأحلام رئيس السقاه ورئيس الخبازين، الذي أدي إلي تفسير أحلام فرعون وأرتقاء يوسف للمنصب الثاني بعد فرعون وإنقاذه لمصر والبلاد المجاورة من المجاعة... الخ. هل كل هذه الحلقات من الأحداث كانت مصادفات، أم عناية آلهية مذهلة فيها حكمة وترتيب وتدبير؟

وفي حياة موسي... هل كانت مراقبة أخته الصبية مريم، للسفط الموضوع فيه أخوها الطفل موسي عائما علي مياه نهر النيل وقت مجئ ابنة فرعون للاستحمام في نفس البقعة ونفس الدقيقة، ومشاهدة إنقاذ أخيها، الذي غير وجه التاريخ وأقتراح مريم علي الأميرة في اللحظة الحاسمة أحضار يوكابد أمها وأم الطفل موسي لإرضاعه... هل كان ذلك سلسلة من الصدف، أم عناية ربانية، تثبت أن الرب الضابط الكل موجود وحي ومطلع ومتداخل في الأحداث، وأن له في الموت مخارج وأن قلوب الملوك في يديه كجداول المياه، يحركها كما يشاء، وان "العلي متسلط في مملكة الناس" (دا ٤:١٨).

وإذا أتينا إلي سفر يونان... هل كان هبوب العاصفة العاتية والبحر والريح علي سفينة يونان صدفة؟ وهل كان وقوع القرعة علي يونان بالصدفة؟ وهل كان هدوء البحر المفاجئ عقب إلقاء يونان في البحر بناء علي طلبه صدفة؟ وهل كان وجود حوت ضخم بجوار سفينة يونان صدفة؟ وهل كان ابتلاع الحوت ليونان وبقاء يونان في بطن الحوت لمدة ثلاثة أيام بالذات وخروجه حيا صدفة؟ أم أن كل ذلك كان بتدبير العناية الآلهية ليكون يونان رمزا لموت المسيح ودفنه في الأرض ثلاثة أيام وقيامته حيا في اليوم الثالث، كما أوضح رب المجد بنفسه (متي ١٢:٤٠).

أن ما يراه الإنسان العادي الطبيعي أو الملحد الأعمي البصيرة صدفة، إنما يراه المؤمن عناية آلهية من الآله الحي القدير والمهيمن علي الخليقة.

دروس أخري من سفر يونان

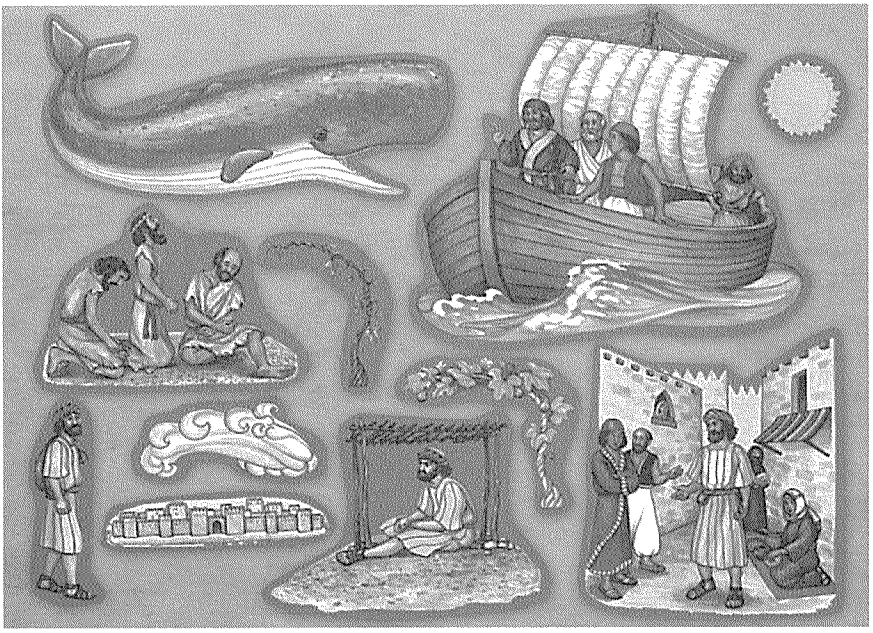

قصة يونان غنية بالدروس والتعاليم والتأملات الروحية والعملية. وبجانب كل ما سبق نستطيع إضافة رؤوس مواضيع أخري جديدة للدراسة والتأمل كالآتي:

أولا – صوت الشر:

يفتتح سفر يونان بقول الرب له: "قم إذهب إلي نينوي وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامي" (١:٢). في هذه الآية يكشف الرب لنا أن للشر صوت مزعج ومرتفع يصعد إلي عنان السماء وإلي أذني الرب.

أما عن شرور نينوي فقد أشار الوحي اليها في أسفار أخري مثل سفر ناحوم ، وعلي سبيل المثال قوله عنها "ويل لمدينة الدماء. كلها ملآنة كذبا وخطفا. لا يزول الافتراس... لهيب السيف وبريق الرمح، وكثرة جرحي، ووفرة قتلي، ولا نهاية للجثث. يعثرون بجثثهم. من أجل زني الزانية الحسنة الجمال، صاحبة السحر البائعة أمما بزناها، وقبائل بسحرها..." (ناحوم٢:٨) ؛ ٣:١-٧).

وأما عن صوت الشر فله أمثلة أخري في الكتاب المقدس من أهمها:

١- قول الرب لإبراهيم عن سدوم وعمورة "**أن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً**" (تك ١٨:٢٠).

٢- قال الرب لقايين: "أين هابيل أخوك... **صوت دم أخيك صارخ إلي من الأرض**. فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك (تك ٤:٩-١١).

٣- يوبخ الرسول يعقوب الأغنياء الذين ظلموا العمال في أجورهم بقوله: "هلم الآن أيها الأغنياء أبكوا مولولين علي شقاوتكم القادمة... **هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولهم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلي أذني رب الجنود**" (يع ٥:١-٤).

لقد أكدت هذه الآيات علي أن للخطية والشر صوتا وصراخا وصياحا مزعجا ومرتفعا، وذكرت خطايا القتل والسرقة والخطف والظلم والإستغلال والزنا والسحر والكذب، وأن الله القدوس لابد أن ينتقم عن كل هذه الخطايا والشرور (ناحوم ١:١ ، ٢).

ثانيا - شخصيات رمزية:

يوجد علم كامل في الكتاب المقدس يسمي علم الرموز Typology. والرمز هو عبارة عن نبوة في هيئة شخصية أو شئ أو حادثة. ويوجد في الكتاب المقدس أكثر من مائة وخمسين رمزا للرب يسوع المسيح في شخصه وفي عمله الخلاصي وفي ملابسات حياته.

فمن الرموز للمسيح في شكل أشياء مثلا: **شجرة الحياة** (تك ٢:٩ ، ٣؛ رؤيا ٢:٧ ، ٢٢:٢)، **وأقمصة جلد الذبائح** (تك ٣:٢١)، وفلك نوح (تك ٦:١٤)، وسلم يعقوب (تك ٢٨)، **والعليقة** (خر ٣)، **والحية النحاسية** كرمز للصليب (عدد ٢١، يو ٣:١٤)، **والصخرة المضروبة** (خروج ١٧)، **والحجر المقطوع بغير يدين** الذي ضرب تمثال الأزمنة الذي أقامه الملك نبوخذ نصر (دا ٢:٤٥)...الخ

أما الرموز للمسيح عن طريق الأحداث فهي **تقديم ذبيحة إسحق** كمثال

لصليب المسيح (تك ٣٣ ؛ عب ١١:١٩)، ومثل رش دم خروف الفصح لفداء شعب الله (خر ١٢)، **وعبور البحر الأحمر** كمثال للمعمودية. وأما الرموز للمسيح عن طريق الأشخاص فأشهرها آدم وهابيل وإسحق وملكي صادق ويوسف وداود وسليمان وأليشع ويونان.

وقد سبق تناول حالة يونان بالتفصيل في مقال "هوذا أعظم من يونان ههنا" فنرجو الرجوع إليها.

ثالثا – أخطاء الخدام وضعفاتهم وعثراتهم:

سجل الكتاب المقدس لمعظم الأنبياء أخطاء وضعفات مثل ابراهيم وداود وسليمان وإيليا، كما سجل ليونان عصيانه وعناده وغيظه بالصواب. والغرض من ذلك ثلاثي وهو:

(١) ليس كامل إلا واحد وهو المسيح، ولذلك قال الكتاب "ناظرين إلي رئيس الإيمان ومكمله يسوع" (عب ١٢:٢).

(٢) أن الأنبياء ليسوا من طبيعة أخري مختلفة عنا، وأن الله مستعد أن يعمل بنا كما عمل معهم.

(٣) إن الله ليس عنده محاباة فوبخ الأنبياء والملوك علي أخطائهم، وان كلمة الله كالمرآة الصافية الصادقة تمدح الإنسان إذا أحسن، وتوبخه أن أساء حتي ولو كان نبيا. وكلما كبر المركز كلما طلب منه القدوة وإلا كان عثرة.

رابعا – خطورة خطية العناد:

كان يونان عنيدا جدا إذ عاند مع الله. فقد كلفه الرب برسالة أن يذهب إلي نينوي في الشرق، فأراد أن يذهب إلي ترشيش في أسبانيا بالغرب! وكلفه الرب بإنقاذ شعب كامل من الهلاك هو شعب نينوي، ولكن يونان كان له رأي مخالف فأغتاظ وعصي وعاند. كما عاند يونان مع نفسه لدرجة انه طلب الموت لنفسه، بل وطلب من البحارة برميه في البحر وهو لاشك طلب انتحاري! فماذا لو غرق يونان ومات في عصيانه، أما كان يهلك كما هلك بلعام من قبله؟

ان الإنسان العنيد هو إنسان متكبر لا يريد أن يتعلم ويغضب من النقد، بل

يغضب حتي من النصيحة! وهو أيضا إنسان أناني لا يريد أن يقبل رأي أي إنسان آخر، ولا حتي وصية الله التي يرفضها إذا تعارضت مع رأيه أو رغبته.

ولذلك عندما أبلغ صموئيل النبي الملك شاول برفض الرب له بسبب عصيانه وعناده قال له: "إن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم" (١صم ١٥:٢٣)، ويالها من كلمة صعبة، أن خطية العناد هي كعبادة الأصنام في نظر الله، وهي تؤذي صاحبها كقول الحكيم سليمان: "الكثير التوبخ المقسي عنقه بغتة يكسر ولا شفاء" (أم ٢٩:١).

خامسا – التأديب والعقاب:

كان تدبير الرب بإبتلاع الحوت ليونان هو نوع من التأديب. والتأديب أصلا هو للأبناء، بينما العقاب يكون للعبيد أو غير الأبناء. ولعل خير شرح لهذه الحقيقة نجده في مزمور ٧٣ لآساف، وفي الأصحاح الثاني عشر من الرسالة إلي العبرانيين الذي يقول فيه الرسول: "قد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين. يابني لا تحتقر تأديب الرب لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتملون التأديب يعامكلم الله كالبنين. فأي ابن لا يؤدبه أبوه. ولكن إن كنتم بلا تأديب فأنتم نغول لا بنون" (عب ١٢:٥-١١).

سادسا – الله يهمه أن يخلصنا من الغم!

نقرأ في الأصحاح الأخير من سفر يونان "فأعد الرب الاله يقطينة فارتفعت فوق يونان لتكون ظلا علي رأسه **لكي يخلصه من غمه**. ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحا عظيما" (يونان ٤:٦).

هذه الآية ترينا أن الرب لا يهمه فقط أن يخلصنا من خطايانا، ولكنه يهمه أيضا أن يخلصنا من الغم والهم والحزن والنكد! الله يهمه سلامنا وفرحنا ومكتوب عنه "في كل ضيقهم تضايق" (اش ٦٣:٩)، وهو يأمر خدامه "عزوا شعبي" (اش ٤٠:١)، ويقول داود النبي "عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك يارب تلذذ نفسي".

سابعا – مزمور يونان في بطن الحوت!

خصص الوحي الأصحاح الثاني بالكامل من سفر يونان لتسجيل صلاة يونان إلي الرب من بطن الحوت. وهي صلاة عميقة ومؤثرة يمتزج فيها الايمان بالرجاء. الايمان يظهر في قوله: "دعوت من ضيقي الرب فاستجابني... وينتهي بالقول: "أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك وأوفي بما نذرته. للرب الخلاص" فهو يشكر الله علي الإستجابة والخلاص وهو لا يزال في جوف الحوت! هذا هو الرجاء الثابت. وقد أعترف يونان بأن الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم" (٢:٨).

انه مزمور جميل أرتفع من قلب يونان وهو في عمق الضيق، ويدل علي حفظه للمزامير حتي صارت لغته مثل لغة المزامير ولا عجب فكلمة الله كلها موحي بها من الروح القدس. وثمة درس آخر، أن الله يسمع صلواتنا من كل مكان في الأرض والبحر والجو ولا يخفي عنه مكان، انه يري ويسمع أنين الأسير، وكان الحوت حماية ليونان من الغرق!

ثامنا – هل الهرب يعتبر من الجبن والجهل أو الحكمة؟

القاعدة العامة أن الهروب يدل علي الضعف والجبن، وخاصة إذا كان الهروب هو من الواجب مثل الهروب من الخدمة العسكرية أو الهروب في الحرب أو التهرب من الضرائب أو من مساعدة الآخرين...

ولكن آذا كان الهروب هو من الخطر أو الضرر أو الخطية والشر، فإنه يعتبر حكمة وذكاء. وفي هذا يقول الحكيم سليمان: "الذكي يبصر الشر فيتواري والحمقي يعبرون فيعاقبون" (ام ٢٢:٣)، وبمراجعة التاريخ المقدس نجد أن يعقوب هرب من أخيه عيسو عندما علم أن عيسو يريد قتله (تك ٢٧:٤١-٤٥). وهرب يوسف من تجربة امرأة فوطيفار (تك ٣٩:١٢)، وأوصي الرسول بولس تلميذه تيموثاوس الشاب بقوله: "أما الشهوات الشبابية فاهرب منها" (٢ تي ٢:٢٢). وقال الملاك للوط قبيل أحراق سدوم وعمورة "أهرب لحياتك" (تك ١٩:١٧). وهكذا هرب موسي من فرعون، وهرب داود من شاول وهرب بولس الرسول من والي دمشق.

وأكثر من الكل هرب رب المجد يسوع في طفولته من مذبحة هيرودس، مع انه كان بامكانه أن يهلك هيرودس (متي ٢). ان كل هذه الأمثلة تعلمنا أن الهروب من الشر والخطية والخطر حكمة وذكاء وليس ضعفا ولا جبنا.

أما هرب يونان من وجه الرب فلم يكن له ما يبرره أبدا، وكان خطية وجهلا وهروبا من الواجب والمسئولية، فكان هروبا خاطئا وخطيرا. والإنسان الحكيم هو الذي يهرب إلي الله وليس أن يهرب من الله.

تاسعا – هل يستطيع الإنسان أن يغير قضاء الله؟

الاجابة علي هذا السؤال هي نعم. فتوبة أهل نينوي غيرت قضاء الله عليهم بالدينونة فرحمهم وصفح عنهم. ويقول الرب في سفر أرميا في مثال الفخاري "تارة أتكلم علي أمة وعلي مملكة بالقلع والهدم والاهلاك فترجع تلك الأمة عن شرها فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها. وتارة أتكلم علي أمة وعلي مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر في عيني فأندم عن الخير الذي قلت إني أحسن اليها به (ار١٨:٧-١٠).

عاشرا – كل الأشياء تعمل معا للخير

لقد أستخدم الرب عصيان يونان لخلاص النوتية وركاب السفينة الوثنيين فآمنوا وقدموا ذبائح للرب. وأستخدم طاعة يونان لخلاص أهل نينوي. أستخدم الرب البحر والعاصفة والسفينة والقرعة والحوت واليقطينة والدودة معا لتحقيق مقاصده الحكيمة لخير الجميع وخلاص الجميع، يونان والمسافرين معه وأهل نينوي.

مبارك هو اسم الرب فهو طيب وصالح وإلي الأبد رحمته، يعمل علي خلاص الجميع وخيرهم، كما هو مكتوب "كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله" (رومية ٨:٢٨).

قد يبدو أن أحد العناصر أو بعضها ليس للخير مثل العاصفة أو الحوت ولكن الله يمزج الجميع معا ويخرج من الكل خيرا لأولاده الذين يحبونه.

ترنيمة عن يونان النبي

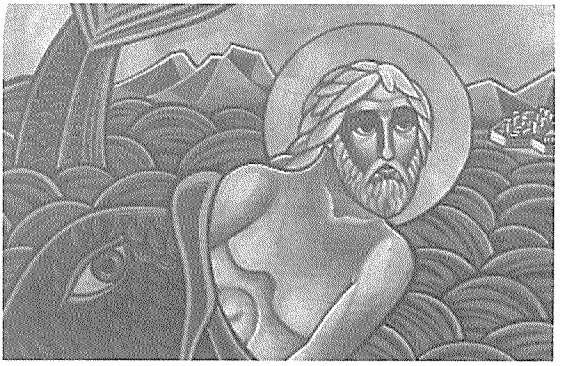

القرار

إسمع صراخى يا سيدى
وإلى صلاتى أمل أذنيك
أرحمنى وأمسك بيدى
أنا فى حاجة شديدة أليك

جازت من حولى التيارات
وأغرقتنى الضيقات
والعشب التف برأسى
والماء عبر إلي نفسي

صلى يونان من جوف الحوت
أصدرت أمرا ألا يموت
من جوف الهاوية صرخ
وبالمراحم سمعت صوت

بصوت الحمد اذبح لك
أعود أنظر هيكلك
لأنك أستجبت لى
كل ما فى يشكرك

باسم الآب و الإبن و الروح القدس

الإله الواحد آمين

إن اهتمام الكنيسة المقدسة بقصة يونان النبي مع اهل نينوى، فاق اهتمامها بكثير من قصص الكتاب . . .

فأقامت لها صوماً من ثلاثة أيام، يصومه الكل فى نسك شديد، ويقيمون بعده عيداً، ويجعلونه مقدمة للصوم الكبير، يسبقه دائماً بأسبوعين كتمهيد له، وله نفس ألحانه.

كما وضعت الكنيسة ألحاناً تناسب هذا الموضوع يرتلها المؤمنون العابدون . . .

فما الذي تحويه قصة يونان و نينوي من تأملات روحية نافعة للنفس؟

و كيف كانت مثالاً للتوبة، ومثالاً لعمل الله من أجل خلاص نفس رعيته، سواء كانوا علي مستوى الأمميين أو على مستوى الأنبياء . . . ؟

و كيف ينجح الله دائماً فى عمله لكسب الناس، بكل احتمال وطول أناة . . . ؟

هذا ما تحاول هذه الصفحات أن تشرحه . . . نقدمها لك كمجرد باب تفتحه لتأملاتك الخاصة . . .

البابا شنودة الثالث